العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب ٥٤

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء السادس — السنة الخامسة — ذو الحجة ١٣٩٠ — شباط (فبراير) ١٩٧١

فوضى نشر المخطوطـــات (*) :

يا ضيعة الأعمار تمضي سبهللا !!

كنت اسمع من نِسْوة قريتنا عندما تريد واحدة منهن ان تعاقب ابنها على عصيان او تؤنبه على اضاعة وقت ، او تصفه بالاهمال في اداء ما يطلب منه تقول : (انت سبهلل هبل) او مثل (السبهلل) او (شُنْخُبٌ طفح لا في يد الحلاب ولا في القدح)وعندما تسأل احداهن عن ابنها تقول: (الله يصلحه سبهلل يضيّع وقته بدون فايدة) وكنت لا افهم من معاني هذه الجمل سوى اضاعة الوقت سدى .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ وانا من طلاب (المعهد العلمي السعودي) رأيتني بحاجة الى معرفة القراءات ، فذكر لي احد اصدقائي ان في الحرم الشريف مدرسا تصدى لهذا العلم هو الشيخ سعد وقاص البخاري ، فذهبت صباح يوم الى حلقة تدريسه ، وهي تضم اقل من عشرة طلاب ، وبعد الانتهاء من الدرس سلمت عليه ، واظهرت له رغبتي في الدراسة ، فدعا لي بالتوفيق وامرني بان احضر كتاب « حرز الاماني ووجه التهاني » مع شرح هذا الكتاب، والحرز هـــذا قصيدة لامية في القراءات السبع تقارب ابياتها ١٤٠٠ وناظمها عالم جليل من اشهر علماء القراءات وأذيعهم صيتا هو القاسم بن فِيْرُّهْ الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وحضرت في اليوم الثـاني بالكتاب بعد أن حفظت ابياتا من المقدمة

(*) انظر « العرب » السنة الاولى ص ١٩٣/٧٦٢ .

حسب ارشاد الشيخ - رحمه الله - وكان مما حفظت: (فيا ضيعة الاعمار تمضي سبهللا) . لقد شرح الشيخ الابيات شرحا مستقى من الشروح الكثيرة ، ولكنني - وايم الحق - لم استطع تذوق (المتن) ولا (الشرح) وقد يرجع ذلك الى فهمي السقيم على حد قول الشاعر :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ذلك ان هذه القصيدة العظيمة حاول ناظمها العالم الجليل ان يقدم علم القراءات السبع باخصر لفظ واقصره ، فاعتمد على الرمز والاشارة . والرمز والاشارة لا تدرك معناهما الا الافكار اللماحة ، وفكري كليل ، ومع عناية علماء القراءات بهذه القصيدة الجليلة واعتناءِ العلماء بشرحها بشروح تجاوزت العشرات من الجعبري الى القسطلاني فما بعده الا ان الله سبحانه وتعالى لم يفتح لي مستغلق ما عصى علي فهمه ، وقد اعجبت بكلمة (سبهلل) فذهبت الى معجمات اللغة فوجدتها تفسرهابتفاسير تجمع على انه الشيء الفارغ ، فتقول : سبهلل: بلا شيءٍ . وسبهلل: كل فارغ . وجاء سبهللا : أي غير محمود المجيء. والسبهلل الباطل، وجاء الرجل سبهللا : اذا جاء يمشي وذهب في غير شيء . وامثال هذه المعاني التي تتفق في امر واحد وان اختلفت العبارات .

كانت هذه هي الفائدة الوحيدة التي استفدتها من البدء في دراسة « حرز الاماني » وكانت النهاية عند قراءة المقدمة ولم تزد على ثلاثة أيام .

تواردت علي هذه الافكار حينما وصل إلي الجلد الثاني عشر من « مجلة معهد المخطوطات العربية » وهو يحوي كتاب « الكافي في العروض والقوافي » فقد ذكرت وانا اطالع هذا الجزء بانني سبق ان قرأت كتابا للخطيب التبريزي مؤلف هذا الكتاب في الموضوع ولم تخنّي الذاكرة لقد قرأت ذلك الكتاب قراءة تصفّح حينما ورد الي مطبوعا محققا ، ولكن باسم « الوافي في العروض والقوافي » قبل عام ، وقد قام بتحقيقه استاذان من بلاد الشام هما الاستاذ عمر يحيى والدكتور فخر الدين قباوة من علماء حلب ، رجعا الى ثلاث

مخطوطات في اسطنبول والقاهرة ، ووضعا حواشيَ وفهارس للكتاب[1] فجاء في ٣٣٢ صفحة .

وها انا الآن اجده مطبوعا باسم جديد ، ومحققا من قبل الاستاذ الحساني حسن عبدالله في ٢٥٠ صفحة طبعة وتحقيقا بلغا درجة عالية في مطبوعاتنا العربية ، ويكفي في التدليل على اهتمام المحقق الاستاذ الحساني بعمله انه رجع الي اكثر من مائة كتاب من كتب الشعر والادب واللغة ، بل يزيد عمله قيمة انه استعان بعالم هذا الفن (فن العروض) في هذا العصر استاذنا وشيخنا ابي فهر محمود بن محمد بن شاكر وهو هو في علمه وسعة اطلاعه وعروبته الاصيلة. انا لم أتأثر بقول الجاحظ عن علم العروض بأنه علم مستبرد لا فائدة له ولا محصول ، ولا برأي القائلين بان علم العروض من العلوم التي وجدت كاملة ، كعلم النحو عند سيبويه ، وانا وان كنت اعتقد ان هناك انواعا من الشعر ، خاصة في الجزيرة العربية قد تخرج عن أقيسة الخليل وأعاريضه إلا أنني مع كل ذلك انظر الى الامر نظرة اعم واشمل نظرة سبق ان عبرت عنها في مناسبات كثيرة تلكهي ان يتجه عدد كبير من محققي التراث لنشر مخطوطة واحدة في بلدان مختلفة ، ويصرف كل واحد منهم جهدا كبيرا وتصرف اموال كثيرة ، ويصدر الكتاب مطبوعا لا ميزة له ولا فضل لواحد فيه سوى وجود الاسماء المختلفة ، ومن الخاسر في ذلك ؟ انه الجهد العربي والمال العربي والوقت الثمين ، يضيع كل ذلك سبهللا .

ثم جاءت الطامة الكبرى منمعهد المخطوطات وهو من مؤسسات(الجامعة العربية) هذه الجامعة التي لا نتحدث عن اثرها في التوجيه السياسي او الاقتصادي فهما أمران خارجان عن موضوعنا ، ولكن ما بال الناحية الثقافية ؟!

لقد علقنا بهذه الجامعة وبإداراتها الثقافية أملا حينا كتبنا كلمة بعنوان (فوضى النشر) ورجونا من هذه الادارة أن تكون المهيمنة او الموجهة او

---

(١) مجلة « العرب » س ٤ ص ١١٤٩ .

على الاقل المرشدة ، ولكننا نراها الآن لم تقم بأي أمر من هـــذه الامور الثلاثة ، وإذن فما هي الغاية منها ؟ هو سؤال أجاب عليه أحد إخواننا من أدباء العراق ، وكنت أخالفه ، فوصفها بالعجز ، وأجاب آخر فوصفها بعدم الاهتمام ، وأجاب ثالث فوصف موظفيها بالأثرة (الأنانية) واستدل على ذلك بكلمة نشرتها في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق قبل ١٨ عاما[١] ، أما أنا فلا أزال مع كل ذلك أحمل لموظفي الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية كل تقدير وإجلال ، وأريد منهم مع ذلك ما يقوي في نفسي ما احمله لهم ، بل أريد اكثر من ذلك ان يكون من أثرهم ما يصون لنا جزءا ثمينا من وقتنا وقدراً كبيراً من مالنا ، وجانباً عظيماً من جوانب ثقافتنا تتطلع الى كل ما يتعلق به تطلع الغيور على لغته وامته وما ذلك الا بالجودة والدقة والصحة ، وسد سبل الفوضى والتطفل ، وهذا كل ما نريد قوله الآن .

قد يقال بأن مطبوعات المعهد أقوى وأوثق من المطبوعات التي يقوم بهـا الأفراد ، وهذا صحيح ، ولكن هذا لا يصدق في كل الأحوال ، ولو اكتفى المشرفون على مجلة معهد المخطوطـات بدراسة مطبوعة الاستاذين الحلبيين ، وتقويم ما يحتاج من تقويم فيها لوفروا جهداً كبيراً .

حقاً إن بعض المخطوطـات تطبع ناقصة ، وقد حدث هذا بالفعل ، فكتاب « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » لابن الخطيب الذي نشر في مجـلة المعهد (ج٢ م ١٢ ص ١١٣ وما بعدها) سبق أن نشره الأستاذ عبد المجيد التركي في مجلة Arabica التي تصدر في ليدن في سنة ١٩٦٩ ، غير أن نشرة المعهد أوفى ، فالأستاذ التركي ، وإن رجع الى مخطوطة ثالثة لم يرجع اليها الأستاذ عبد الحفيظ منصور الذي نشر تحقيقه في مجلة معهد المخطوطات ، إلا أنه - أعني التركي - حذف المقدمة برمتها ، وهي قطعة رائعة في بيانها وأسلوبها ، وما يصح أن تحذف ، ولهذا فإن طبعة معهد المخطوطات تمتاز بكونها وافية ومثل هذا العمل مما يعترف بفضله كل منصف ، ويذكره للمعهد وللقائمين عليه ذكر التقدير والاعتراف بالفضل .

---

(١) المجلد ٢٨ ص ٣٩٦

من مخطوطات مكتبة الحرم المكي :

العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ونسبته للخزرجي

- ٢ -

مادة الكتاب :

يضم الكتاب مادة علمية طيبة ومعلومات تاريخية قيّمة تتعلق بتاريخ اليمن وفضلها وإسلام اهلها وعمالها ، إبتداء من عمال الرسول ﷺ وعمال بني أمية وبني العباس ثم دولة القرامطة والأمراء الذين تغلبوا على صنعاء والدولة الصليحية وما يتعلق بها وملوك صنعاء بعد الصليحيين وأخبار الدولة الزريعية ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدينة زبيد فيعرض تخطيطها ، ثم يذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح ثم وزراء آل نجاح، وبعدها يذكر قيام علي بن مهدي القائم باليمن ، ويذكر دولة بني ايوب وأول دخولهم إلى اليمن ثم يذكر دولة الغز الرسولية والتبّع الأكبر ودولة السلطان الملك الأشرف ممهد الدين عمر بن يوسف ، ودولة الملك المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف ودولة السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن داود بن يوسف والدولة الافضلية وما جرى فيها ويختم الكتاب بذكر الدولة الاشرفية الكبرى .. وقد جرى المؤلف في تاريخه هذا مجرى الطبري وابن الاثير وغيرهما ممن أرّخ الحوادث وفق السنوات. وقد وجدت ان المؤلف بدأ يؤرخ للوفيات في النصف الثاني من الكتاب بشكل لم يكن ظاهراً في القسم الاول مع تاريخ الحوادث والاخبار المهمة التي وقعت في كل سنة من هذه السنوات . والحوادث والوفيات تتفاوت في طولها وقصرها ولكنها في الغالب تأخذ شكلاً مفصلاً ودقيقاً في النصف الثاني . وقد عرض لمجموعة من الاخبار والحوادث والمعلومات في هذا المصنف . ويمكن حصر الجوانب التي عرض لها بالشكل الآتي :

(١) الحالة السياسية :

يرسم المؤلف الشكل العام لدولة اليمن من خلال أحاديثه عنها ، ويبرز الصلات الوثيقة التي تربط بين هذه الدولة والدويلات المجاورة من جهة وبينها وبين الحكومة الإسلامية وهي تشمخ في المدينة أو دمشق أو بغداد. ويصوّر العلاقات القائمة بينها وبين مصر والشام وما جرى من سفارات وبعوث وتبادل ..

أما الأوضاع الداخلية وما تنازع الدولة من أحداث فتكاد أخباره عنها تكون كاملة لما جمع من روايات تتمثل في طريقته لنقل هذه الاخبار ونقدها وتدقيقها [١] ، فهو ينقل كثيراً من الاخبار بعد أن يتأكد من روايتها. فيسبقها بعبارة : أخبرني من رآه [٢] ، وذكر لي من يوثق بكلامه [٣] ، وأخبرني من أثق به [٤] ، إلى غير ذلك من العبارات التي تدلُّ على الدقة في النقل والتحرّي في الرواية والتثبُّت من الخبر.

(٢) الحالة الاقتصادية :

أما الحالة الاقتصادية فقد كان يعرض لها من خلال أحاديثه عن عدالة الملوك أو ظلمهم وما يعقب ذلك من أوضاع اقتصادية متأزمة .. وسوف أشير إلى بعض الأخبار الاقتصادية التي ذكرها مشيراً اليها بايجاز .

(ا) يتحدث المؤلف عن أرزاق عمال صنعاء فيقول : (وكان رزق عمال صنعاء في كل شهر ألف دينار فجعل له (المقصود هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير) الرشيد ألفي دينار ، فقال له يحيى بن خالد : هذا يفسد عليك مَن توليه بَعده من أهل بيتك . فردّ رزقه إلى ألف دينار [٥] . وفي حديثه عن حماد البزيدي الذي عيّنه الرشيد والياً على اليمن قال : « فبعث الرشيد مكانه [أي محمد بن برمك] مولاه حماداً البربري وقال له : أسمِعْني

---

(١) تنظر الصفحة : ١٠٩ من المخطوط .

(٢) الصفحة : ٣٤٨ .

(٣) الصفحة : ٣٥٩ .

(٤) الصفحة : ٣٥٩ .

(٥) الصفحة : ٢٨ .

أصوات أهل اليمن ، فقدم اليمن في شوال سنة أربع وثمانين ومائة ،فعاملهم بالعسف والجبروت وقتل جماعة من رؤسائهم وشرّد جمعاً كثيراً منهم حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الخراج المعتاد وزيادة . وعمرت اليمن في أيامه وخاصة صنعاء وآمنت السبل حتى القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلاتان ، في كل مخلاة ستة أمداد تمراً فتباع بأرخص الأثمان ، وأخصب اليمن في أيامه خصباً لم يعهد مثله ورخصت الأسعار [١]) .

ثم يعرض لظاهرة ارتفاع الأسعار في اليمن سنة ٣٩١ فيقول : (وفي هذه السنة ارتفع سعر الطعام بصنعاء ارتفاعاً عظيماً [٢] » . ويشير في كلامه عن سنة [٤٢١] فيقول : « وفي هذه السنة اشتد القحط باليمن ومات كثير من الناس وخلت بلاد كثيرة من أهلها [٣] » . ويربط بين استتباب الامن واستقرار الاسعار فيقول في حديثه عن مدينة جبلة سنة ٥١٤ : « وأمنت البلاد ورجعت الاسعار » [٤] .

ويشير في أخباره عن الدولة الزريعية إلى خراج عدن فيقول : « فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إلى السيدة [زوجة المكرّم] في كل سنة مائة ألف دينار وقد يزيد وقد ينقص [٥] .

وفي حديثه عن صاحب صنعاء وهو أسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد ابن يعفر بن عبد الرحيم يشير إلى انه كان يخطب لأبي الجيش بن زياد ويضرب الدراهم على اسمه ولم يكن يحمل لأبي الجيش هدية ولا ضريبة (أي خراج) ولا غيرها وكان مبلغ ارتفاع أموال أسعد بن ابي يعفر لا تزيد على اربع مائة ألف دينار في السنة يصرف معظمها في سبيل المروءة لوافديه وقاصديه [٦] .

وينقل عن عمارة قوله : رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها وذلك في سنة ست وستين وثلثمائة من الدنانير ألف الف دينار عثرية خارجاً

---

(١) الصفحة : ٢٩ . (٢) الصفحة : ٥٢ . (٣) الصفحة : ٥٨ .
(٤) الصفحة : ٧٤ . (٥) الصفحة : ٩٠ . (٦) الصفحة : ١٠٥ — ١٠٦ .

عن ضرائبه على مراكب الهند من الاعواد المختلفة والمسك والكافور ومـــا أشبه ذلك وخارجة عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على جزيرة دهلك وهي خمسمائة وصيف ، وخمسمائة وصيفة من النوبة والحبش [١] .

وأشار إلى خراج النخل في اليمن في أيام ملوك الحبشة وأيام بني مهدي فبلغ سبعين الف درهم . وليس يسلمون نقداً وإنما يسلمون تمـراً وحوالات .

وفي أخبار سنة ٦٥٥ يذكر أن قحطاً عظيماً حصل وارتفع سعر الطعام ارتفاعاً كليـــاً في صنعاء وصعدة ، ومات كثير من الناس جوعاً وأقام ستة أشهر ، ولما اشتد أكل الناس الكلاب و السباع [٢] . وفي سنة ٧٧٣ حصل قحط عظيم ومات عالم لا يحصون وأكلت الميتة [٣] .

وينقل المصنف نصاً عن الجندي في حديثه عن الملك المؤيد [سنة ٦٩٦] يقول فيه : ومن مناقبه الحسنة انه أخلص الدراهم من الغش إخلاصاً جيداً . قال علي بن الحسن الخزرجي : ليس لكلام الجندي هذا معنى فقد رأى الناس كثيراً من الدراهم المنصورية والمظفرية فلم يكن في شيء منها شيء من الغش وربما هي أجود فضة من غيرها [٤] .

ويشير في كثير من المواضع إلى تقلب الاسعار واختلافها ، ويدلّل على ذلك ببعض الأدلة فيقول : إن المدّ من الحنطة وصل إلى عشرين درهماً [٥] ، أو كان السعر تارة يرخص فتبلغ الربداء [من شيات المعز] أربعـة دراهم وتارة يغلو فتبلغ سبعة دراهم [٦] .

ويذكر ارتفاع الاسعار في زبيد سنة [٨٠١] فيقول : وفي هـذه السنة ارتفعت الاسعار في مدينة زبيد وبلغ سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم وغيرة الزبدي خمسون وقية . الاوقية عشرة دراهم بالختم المصري . وبلـغ زبدي السمن بأربعين درهمـــاً وغبرة الزبدي السمن اثنا عشر رطلاً الرطل عشرون أوقية . وبلغ البر الزبدي بدرهم ونصف، وقلّ الدرّ في الدواب [٧].

---

(١) الصفحة : ١٠٦ . (٢) ص : ٢٣١ . (٣) ص : ٢٤٥ .
(٤) ص : ٢٧٧ . (٥) ص : ٣٠٢ . (٦) ص : ٢٩٢ .
(٧) ص : ٤٨٣ .

الناحية العمرانية :

تُعَدّ الناحية العمرانية من النواحي التي شغلت مكاناً فسيحاً في المصنَّف وقد أفرد لها المؤلف مجالاً واسعاً وخاصة عندما يشير الى مآثر الأفراد وما تركوه من عمارة ، وما بنوه من مدارس ، واختطوه من مدن وشيّدوه من قصور . فقد ذكر في أخبار سنة ٤٣٩ انه عندما وصل ابن ابي الفتوح صنعاء بنى له في علب قصراً بالجص والآجر [١] . ويشير إلى ان الذي اختط مدينة جبلة هو عبد الله بن علي الصليحي [٢] وذلك في سنة ٤٥٨ . وفي حديثه عن علي بن سبأ قال : (انه حفر في الصفا حفراً عديدة وخرق بعضها الى بعض، وأجرى الماء فيها في مواضع لا يصدق فيها إلا من رآهـا ، ثم لما جاء إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جداراً من الجبـل طوله مائتي ذراع وعرضه نحواً من عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعاً بحيث انه إذا شخص[رآه] يقول: ما فعل هذا إلا الجن . وبنى مسجد الجند وجدّد بناءه من المقدم والجناحين مما هو مبني بالحجارة [٣] . وفي حديث عن مـآثر عمران بن محمد بن سبأ [توفي سنة ٥٦٠] قال : ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها ، واسمه مكتوب عليه ، وهو منبر له حـلاوة في النفس وحلاوة في العين [٤]) .

ويذكر ان اختطاط مدينة زبيد كان في زمن المأمون [٢٠٤] وان الذي اختطها هو محمد بن زياد امير اليمن في ذلك الوقت [٥] ، وان اختطاط مدينة الكدراء كان سنة [٣٧١] وان الذي اختطها هو حسين بن سلامة [٦] وكذلك اختط مدينة المعقر [٧] . ويذكر أعمال هذا الرجل فيقول : وهو الذي بنى الجوامع الكبار ، والمنابر الطوال في المدن ، وحفر الآبار الرّوية ، والقلب العادية ، وعمل المصانع ،وبنى الأميال والفراسخ والبرد في الطرقات . ومبتدأ عمارته من حضرموت إلى مكة نحـو من ستين مرحلة في كل مرحلة

---

(١) ص : ٥٩ . (٢) ص : ٦٧ . (٣) ص : ٧٣ . (٤) ص : ١٠١ .

(٥) كتب الدكتور طاهر العميد بحثاً عن اختطاط مدينة زبيد عنوانه « بناء مدينة زبيد في اليمن » ونشر في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثالث عشر ١٩٧٠ .

(٦) ص : ١٠٧ . (٧) الصفحة نفسها .

جامع ومأذنة وبئر . جدّد عمارة الجامع بعدن وهو من عمارة عبد العزيز . وعمّر مسجد الجند المشهور . قال عمارة : وهو مثل جامع احمد بن طولون بمصر . وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن وأهل الجند [١] . ويأتي على أخبار كثيرة في فضل هذا الرجل ومآثره واهتمامه بالعمران واعتنائه بالطرق واهتمامه بالمرافق . ويشير إلى انه أول من أدار سوراً حول مدينة زبيد [٢] . ويذكر الاسوار الأخرى التي أديرت حولها وأسماء من أقاموا على بنائها ذاكراً مادتها في البناء وأعداد الأبراج والمسافات بين كل برج وبرج بالأذرع [٣] . ويصحح بعض هذه المعلومات معتمداً على الاخبار التي ذكرها علي بن الحسن الخزرجي [٤] . ويقف عند مسح مدينة زبيد في الدولة الأفضلية [سنة ٧٦٧] ، ويذكر ان السلطان الافضل كان من جملة المزخرفين وانه كان يباشر العمارة بنفسه [٥] . ويسمي الأشخاص الذين تولوا مساحة زبيد فيذكر الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن السراج المعروف بأبي زيد ، والفقيه جمال الدين محمد بن ابي بكر الغراس ويقول عنهما : وكانا يومئذ أبرع أهل زبيد في هذا الفن[٦] .

وفي أخباره عن نجاح يقول : (وكان يؤثر عمارة المساجد [٧]) . وفي حديثه عن المبارك بن منقذ يشير إلى انه بنى المقدم من جامع زبيد ، ويذكر ان اسمه مكتوب فيه في حجارة على الباب الذي يدخل منه الخطيب . وكان تاريخ عمارة المسجد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة [٨] ، وفي أخباره عن مآثر سيف الإسلام يبين انه هو الذي بنى المؤخر في جامع زبيد وبنى الجناحين والمنارة ، واختط في اليمن المنصورة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [٩] وينسب اليه بناء المدرسة السيفية في تعز وقد سميت بذلك نسبة اليه [١١] ، وانه أول [من بنى] من الغز مدرسة في اليمن[١٠] . وفي أخباره عن المعز ذكر انه بنى في زبيد المدرسة المعزية المعروفة بمدرسة الميلين [١٢] . وفي أخباره عن سيف الدين سنقر

---

(١) ص ١٠٧ . (٢) ص : ١٠٨ . (٣) ص : ١٠٩ .
(٤) الصفحة نفسها . (٥) الصفحة نفسها . (٦) ص : ١١٠ .
(٧) ص : ١١٢ . (٨) ص : ١٦٢ . (٩) ص : ١٧٢ .
(١٠) ص : ١٧٦ . (١١) ص : ١٧٨ . (١٢) ص : ١٧٨ .

الاتابكي [وفاته سنة ٦٠٨] اشار إلى مدرسة أنشأها بذي هريم . وقال عنه : (وبنى مدرستين في زبيد تعرف إحداهما بالعاصمية نسبة إلى مدرّسها عمرو بن عاصم وكان احد فقهاء الشافعية ، وتعرف الاخرى بالدحمانية نسبة إلى مدرّسها وهو الفقيه محمد بن ابراهيم بن دحمان ، وكان احد اصحاب الإمام ابي حنيفة [١]) . وفي اشارته إلى آثار السلطان نور الدين يقول : (وكان للسلطان نور الدين آثار حسنة ، فمن ذلك المدرسة التي بمكة بحيث يغبطه عليها سائر الملوك ، وابتنى في تعز مدرستين يقال لأحدهما الوزيرية نسبة الى مدرّسها الوزيري ، وتسمى الاخرى الغرابية نسبة إلى مؤذن فيها اسمه (غراب) وكان رجلاً صالحاً ، وابتنى مدرسة في عدن ، وثلاث مدارس في زبيد تعرف بالمنصوريات : مدرسة للشافعية ، ومدرسة للحنفية، ومدرسة للحديث النبوي . وابتنى مدرسة في المنسكيّة ، ورتّب في كل مدرسة مدرّساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن . ووقف على الجمع أوقافاً تقوم بكفاية الجميع [٢]) . وفي اخباره عن السلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين، المتوفى سنة ٦٩٤ ، ذكر ان له مآثراً حسنة ،فمن ذلك المدرسة التي انشأها بمغربة تعز المعروفة بالمظفرية ،وقد رتب فيها مدرّساً ومعيداً وعشرة من الطلبة ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن وقيّماً، وأوقف عليهم من العقار ما يقوم بكفايتهم الجميع [٣]. وفي أخباره عن السلطان المؤيد [سنة ٧٠٢] يقول : (وفي هذه السنة أمر السلطان – رحمه الله – ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيدية ، في معزية تعز ورتّب فيها مدرّساً وَدَرَسة ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومقرئاً يقرّيء القرآن الكريم بالسبعة الاحرف ، وقيّماً ووقف عليها من الارض والكروم ما يقوم بكفاية الجميع ووقف عليها خزانة من الكتب النفيسة [٤] .

---

(١) ص : ١٨٣ . (٢) : ص ٢١٠ .

(٢) الصفحة ٢٦٩ وفيها الى جانب هذه المأثرة مآثر كثيرة من بناء مدارس ووقف أوقاف وبناء مساجد . (٤) ص : ٢٩٧ .

ويتحدث عن القصر السعيد الذي فرغ من بنائه سنة [٧٠٨] فيقول : (انه لا نظير له في شام ولا عراق وانه لم يشاهد مثله أبداً وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة له أربع مناظر بأربع رواشن ليس فيه رخام وذهب وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حافاتها صفة طيور ووحوش من صفر اصفر ترمي الماء من أفواهها ، وفي وسط البركة قارورة ترمي بالماء إلى السماء فيبلغ أمداً بعيداً ، وقبالة المجلس شادروان بعيد ينصب ماؤه إلى البركة المذكورة كأنه لوح من بلور ، بل لا يمكن بالتعبير عنه (كذا) وفي المجلس شباك يفضي إلى بستان عجيب المنظر ، حسن المختبر والخبر ، وكانت إقامة الصناع فيه سبع سنين .. وسمعت من يحكي ممن أدرك ايام عمارته قال : كان يطلع إليه او ينزل منه كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء : ثمانين نجار ومرخم ودهان ومزخرف خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من أتباعهم وهذا ما عدا صناع البلاد وهم اضعاف ذلك[١] . ويشير إلى مجموعة من المدارس التي قامت بانشائها الحرة المصونة مريم ابنة الشيخ شمس الدين بن العفيف زوج السلطان الملك المظفر[٢] ، وفي أخباره عن المؤيد [المتوفى سنة ٧١٩] ذكر مجموعة من المدارس التي أنشأها ، وما وقف عليها من أوقاف وخزائن كتب نفيسة ، وذكر المدارس والمآثر التي أنشأتها كريمته[٣] وفي كل مدرسة يذكر ما رتب لها من مدرس ودرسة ومعيد وإمام ومؤذن ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن ومقرىء يقرّىء بالسبعة أو فقيه يعلم على مذهب الإمام ابي حنيفة او الشافعي .

الناحية الأدبية :

يعد الكتاب ، إلى جانب أهميته التاريخية والعمرانية ، من المصادر المهمة في دراسة الحياة الأدبية من خلال تاريخ دول اليمن لأن المصنف عالج الموضوعات الادبية معالجة تدل على التحري والدقة في كثير من الاحيان ،

---

(١) ص : ٣٠٦ ، ٣٠٧ . (٢) ص : ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣) ص : ٣٢٦ ، ٣٢٧ وتنظر الصفحات : ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٩٩ .

وهو في هذه المعالجة لم يقف عند الخبر الصغير، والتعليق المقتضب وإنما يبدي رأيه في تقييم النص ، ويكثر من القصائد إذا وجد فيها كشفاً لهذه الجوانب النقدية، ولهذا جاء الكتاب في بعض فصوله أقرب إلى الادب منه إلى التاريخ وسأذكر بعض هذه الجوانب مشيراً إلى الصفحات في الهامش خوف الإطالة ملتزماً بالتسلسل الزمني لهذه المظاهر حسبما جاءت في الكتاب .

إن اتصاف الامير بصفة الاديب او الشاعر لا تمر دون تعقيب او تأكيد ففي حديثه عن علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية يقول : (وكان علي بن محمد الصليحي من أعيان اليمن وسادات الزمن ، وأذكياء الملوك ودهاتهم . وكان شاعراً فصيحاً كاملاً [١] ويذكر له بعض الاشعار[٢]). وقال عن المفضل بن ابي البركات الوالي : (وكان حازماً عاقلاً شجاعاً شهماً له عدة مكارم وجملة مفاخر .. وكان جواداً قصده الشعراء من الاماكن البعيدة . ومن جملة من قصده مواهب بن جرير المغربي وامتدحه بغرر قصائده) [٣] . ومدحه ابو بكر اليافعي [٤] .

وفي حديثه عن السلطان حاتم من ملوك صنعاء ذكر له أشعاراً في رثاء ابنه بعد ان قتله [٥] وفي حديثه عن حاتم بن احمد بن عمران قال : (ودخل صنعاء موكباً ومعه سبعمائة فارس من همدان وهو القائل . وذكر له أربعة أبيات [٦] . ثم قال : وكان له من المفاخر ما لم يكن لاحد قبله مع الفصاحة والرجاحة .. وفي ذلك يقول ابن اخيه نصر بن محمد بن احمد بن عمران من قصيدة [٧] . وقال عن السلطان حاتم بن احمد : كان شاعراً فهيماً بليغاً حسن الشعر ، جيد السبك ، وقد أوردت من شعره ما يُستدل به على باقيه فمن ذلك قوله :

أرقت وطال الليل والعقل نائمه ... وقد أقلعت اشراطه ونعائمه
وأورى زنادالهم في القلب جذوة ... إذا جاش من تيّاره متلاطمه

---

(١) ص : ٦٣ .
(٢) ص : ٦٥ .
(٣) ص : ٧٢ .
(٤) ص : ٧٣ .
(٥) ص : ٧٩ .
(٦) ص : ٨٠ .
(٧) ص : ٨٠ .

وهي قصيدة طويلة أبياتها اثنان وأربعون بيتاً [1] وذكر له قطعة أخرى في طرد الذئب وقد كتبها لاخوانه [2] وقد شرحت بعض الفاظها . وذكر له أشعاراً في فرسه الرازقي [3] وكانت وفاة هذا السلطان الشاعر سنة ٥٥٦ .

وفي اخباره عن محمد بن سبأ قال : (ومدحه جماعة من أعيان الشعراء منهم القاضي الأجل يحيى بن عبد السلام بن يحيى [4] . وهو أشعر شعراء عصره . ومن شعره في الداعي محمد بن سبأ قوله وقد عزم إلى ذي جبلة [5] :

النصر من قُرناء عزمك فاعزم ... والدهر من أمراء حكمك فاحكم

ومن مداحه الشريف يحيى بن محمد بن علي الحسني ومن شعره فيه [6] :

جلالك ألبس العيد الجلالا ... ومجدك فيه مجد العيد طالا
وعزك أكسب الأعياد عزاً ... يتيه به وصار لها جمالا

ومن مداحه الشيخ الأديب سالم بن عمران التغلبي ويذكر له شعراً فيه [7] وأحمد بن سالم بن ظفر الهمداني ويذكر شعراً له فيه [8] ودحانه بن محمد الصنعاني [9] والشيخ الأديب أحمد بن علي المعافري [10] .

وفي ذكره لأخبار ياسر بن بلال قال : (وكان رجلاً عظيم القدر مشهور الذكر من الأجواد يثيب المادحين ، ولا يخيب القاصدين ورد إليه عدة من فضلاء الديار المصرية منهم الرشيد بن الزبير ، وكان عالماً فاضلاً ، والاعز أبو الفتوح بن قلانس اللخمي الشاعر المشهور وامتدحه بقصيدة أولها :

سافر إذا حاولت أمرا ... سار الهلال فصار بدرا

وهي مشهورة في ديوانه فاجازه عليها بألف دينار [11] وثبت للقاضي يحيى

---

(١) ص : ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) ص : ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) ص : ٨٦ .
(٤) ص : ٩٤ .
(٥) ص : ٩٥ .
(٦) ص : ٩٥ .
(٧) ص : ٩٥ .
(٨) الصفحة نفسها.
(٩) الصفحة نفسها .
(١٠) الصفحة نفسها.
(١١) ص : ٩٦ (وكان ذلك سنة ٥٤٧) .

قصائد كثيرة [١] ومثلها لأبي بكر بن أحمد العندي [٢] .

وفي حديثه عن أخبار جيّاش بن نجاح قال « كان متصفاً بالعلم وله شعر رائق . قال عمارة ، رأيت ديوان شعره مجلداً ضخماً وله ترسل متوسط بعيد عن الكلفة ، رأيت منه عدة مجلدات وهو الذي صنف كتاب «المفيد في أخبار زبيد » وهو كتاب متسع الافادة ، وقد قلّت نسخة في البلاد وربما عدمت في أكثر الجهات [٣] وذكر له شعراً [٤] .

وفي اشارته إلى مآثر الوزير أبي منصور مَنّ الله الفاتكي قال نقلا عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي السهامي : اني جلدت مما مُدح به الوزير عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء [٥] . وفي ذكره لعبد النبي بن علي ابن مهدي قال : « كان شاعراً فصيحا بليغاً مع الملك والشجاعة والاقدام وكرم النفس وله ديوان شعر جيـــد ، ومن مستحسنات شعره القصيدة التي احتوت على معان كثيرة ورثى فيها والده ، وشهدت بمعرفته التامة ، وفضله الكامل ، وقد أثبتها بأسرها وعدتها أربعة وستون بيتاً [٦] ، ويثبت قصيدة طويلة للأديب أبي بكر بن احمد العندي في استقبال شمس الدولة توران شاه ابن ايوب [٧] وهي طويلة ورائعة ، وذكر قصيدة لشمس الدولة في اشتياقه إلى الشام ومطلعها [٨] :

لولا محلك في قلبي وأفكاري ما برّح الشوق أعضائي وتذكاري

وأرسل إليه صلاح الدين رسالة مضمونها ترغيبه في الاقامة في اليمن [٩] ، ولكن شمس الدين كتب إليه كتاباً وفي الكتاب شعر يقول فيه [١٠] :

الشوق أولع في القلوب وأوجع فعلام أدفع منه ما لا يدفع ؟

---

(١) ص : ٩٧ .
(٢) الصفحات : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) ص : ١١٧
(٤) ص : ١١٨ .
(٥) ص : ١٢٣ .
(٦) ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٧) ص ١٥٤ – ١٥٥ .
(٨) ص ١٥٧ .
(٩) ص ١٥٨ .
(١٠) ص ١٥٩ .

لا يستقرّ بي النوى في موضع   إلا تقاضاني الترحـــل موضع
وحملت من وجد الأحبة والنوى   ما ليس يحمله الأحبة أجمع
وإلى صلاح الدين أشكو انني   مضنى كئيب مستهام موجع
جزعاً لبعد الدار منه ولم أكن   لولا هواه لبعــد دار أجزع
حتى أشاهد منه أسعد طلعةٍ   من افقها صبح السعادة يطلع

فأجابه صلاح الدين بابيات :

مولاي شمس الدولة الملك الذي   شمس السعادة منه أضحت تطلع
مالي سواك من الحوادث ملجأ   مالي سواك من النوائب مفزع
ولأنت شمس الدين فخري في الورى   وملاذ آمالي وركن امنـــع
النصر ان أقبلت نحوي مقبلٌ   واليمن ان اسرعت نحوي مسرع

وفي حديثه عن الملك المعزّ ينقل عن كتاب « عجائب الأخبار » للشيخ مسلم الشيرازي قوله « وكان شاعراً فصيحاً بليغاً » قال : رأيت شعره في في مجلد ضخم وشعره جيد بالنسبة إلى شعر الملوك ومن شعره (١) :

واني أنا الهادي الخليفة والذي   يقود رقاب الغلب بالضُمّر الجرد
ولا بدّ من بغداد أطوي ربوعها   وأنشرها نشر السماسرة الـــبرد

ويذكر قصيدة للعماد الشيرازي شاعر الملك المسعود (٢) مطلعها :

ألا هكذا للملك تعلو المراتبُ   وتسمو على رغم العداة المناقبُ
فتوحٌ سرَتْ في الأرض حتى تضوّعت   مشارقهـــا من طيبهـــا والمغاربُ

وبعدهـــا قال : وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى الشريف عز الدين محمد بن الإمام يقول (٣) :

أسادات الورى من كل حيٍّ   وأسمى في المعالي من نسامي

---

(١) ص ١٧٧ .
(٢) ص : ١٨٩ — ١٩٠ .
(٣) ص : ١٩٠ .

وهي قصيدة طويلة عدّتها واحد وعشرون بيتاً . فأجابه الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة بقوله [١] :

أمِنْ برقٍ تألّق بابتسام أرقت فلم تذق طعم المنـــام ؟

وهي سبعة عشر بيتاً . ويذكر شعراً للامير عز الدين بن عمران بن سعيد ابن بشر بن حاتم على لسان الامير شمس الدين احمدابن الإمام عبد الله بن حمزة ممتدحـــاً السلطان الملك المظفر شاكراً ومثنياً [٢] . ويأتي على ذكر قصيدة للامير شمس الدين احمد بن الإمام يمتدح السلطان الملك المظفر ومطلعها :

لعلّ الليالي الماضيات تعود فتبدو نجوم الدهر وهي سُعُود

وهي طويلة تصل إلى ستة وأربعين بيتاً[٣]. وفي حديثه عن القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني وزير السلطان الملك المظفر يقف عنـــد الشعراء الذين اختصوا بمدحه فيقول : « وكان له عدة من الشعراء منهم محمـــد بن حِمْير ، وكان أوحد شعراء عصره أدرك صدراً من دولة الخليفة وله فيه غرر المدائح. ويذكر شعراً[٤] ومنهم القاسم بن هُتيمل شاعر المخلاف السلياني وكان فصيحاً عارفاً مداحاً وله فيه عدة من القصائد[٥]. ومنهم الفقيه سراج الدين أبو بكر ابن دعاس وكان شاعراً ماهراً فقيهاً نحوياً لغوياً[٦].

وفي حديثه عن السلاطين يشير في بعض الأحيان إلى منزلتهم العلميـــة والأدبية وما ألفوا من كتب[٧] .

ويدون قصيدة للأديب سابق الدين يوسف بن العبسي ويقول عنها انها بديعة الاسهال[٨] بارزة في قالب الكمال مطلعها :

القوس موترة في كف باريها فليعلم الناس قاصيها ودانيها

---

(١) الصفحة ١٩٠ ، وتنظر الصفحات : ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ وفيها من الآثار الأدبية والقصائد ما يؤكد حقيقة الاهتمام بالجانب الأدبي .

(٢) ص : ٢٥٥ وتضم القصيدة أكثر من أربعين بيتاً .

(٣) الصفحة : ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٤) الصفحة : ٢٧١ وقد نشر الأستاذ محمد العقيلي عنه دراسة في «العرب» ص(٥٥٤) السنة الـ ٤

(٥) ص ٢٧١ . نشر الأستاذ محمد العقيلي دراسة وافية عن هذا الشاعر طبعها في كتاب .

(٦) ص : ٢٧١ . (٧) ص : ٢٧٣ . (٨) ص : ٢٧٨ .

ويقدم قصيدة أخرى للعفيف عبد الله بن جعفر في تهنئته الملك المؤيد منها:[١]

أملك داود أم ملك ابن داود ... ما إن أقيس بكنعان ونمرود
افي الرواق هزبر تحت غايته ... أم الهزبر هزبر الدين والجود ؟

وينقل قصيدة أخرى في مدح السلطان الملك المؤيد مطلعها[٢] :

ارث الخلافة في يديك مشاع ... وغرار سيفك شاهد قطاع

وهي طويلة ، وأخرى في مدحه [٣] : ورابعة للعفيف في وصف قصر الملك المؤيد وهي طويلة [٤] وخامسة [٥] وسادسة [٦] وسابعة [٧] ولا أريد أن أطيل في هذه الأخبار والحوادث وما صاحبها من نماذج أدبية ، ولكنني أؤكد الحقيقة التي لمستها من خلال تصفحي للكتاب ومراجعتي له من أن المؤلف كان يبرز الجوانب الأدبية ، ويهتم بها اهتماماً زائداً يلفت الانتباه ويدعو الى التأمل .

أمـــا الناحية الاجتماعية فلم تهمل في الكتاب وإن كانت أخبارها تأتي متناثرة في تضاعيف الأخبار ، فالمصنف يتحدث عن تفقد الرعية والإشفاق عليهم ، والتساؤل عن أحوالهم[٨] ، يذكر ذلك في حديثه عن محمد بن بريك . ويذكر النساء الشهيرات والأعيان[٩] واللواتي عرفن بحفظ الأشعار والاخبار ، العارفات بالأنساب والتواريخ وأيام العرف[١٠] والمركز الاجتماعي الذي كانت تتمتع بـــه ودورها السياسي في تغيير الأمراء والولاة وخاصة في الدولة الصليحية ، وقد برزت أسماء كثير منهن[١١] . أمـــا المظالم الاجتماعية وسوء الادارة وفساد النواب فكان يوليه اهتماماً خاصاً يحمله على التنديد به[١٢] .

ويذكر بعض العادات المألوفة ؛ ففي حديثه عن جيّاش بن نجاح يذكر

---

(١) ص : ٢٧٨ .وانظر عن ابن جعفر وشعره ص (٣٥٤) من هذه المجلة في هذا العام .
(٢) ص : ٢٨٤. (٣) ص : ٢٨٦ . (٤) ص : ٢٨٩ .
(٥) ص : ٢٩٦ . (٦) ص : ٣٠٤ .
(٧) ص : ٣٠٧ . (٨) ص : ٢٩
(٩) ص : ٦٣ . (١٠) ص : ٦٦ .
(١١) ص : ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ . (١٢) ص : ٢١ .

انه جرى على عادة أهل الهند في تطويل الأظافر والشعر والستر على إحدى العينين بخرقة سوداء[1] ، وكان يشير إلى الاهتمام بالزراعة وغرس النخيل والاستكثار منه والتشجع عليه[2] ، ويذكر في أخبار المعز انه كان يلبس لباس الخلفاء ، القمصان ذوات الأكمام الطوال الواسعة التي تسمى الثمانية والعُشارية يكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانة أذرع بحيث يكون الملك قاعـــداً في روشنه فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريدون تقبيل يده ويرسل الملك كمه من الروشن إلى الأرض فيقبل الغلمان كمه نيابة عن يده[3] . ويقدم في حوادث سنة ٦٧٧ نموذجاً من السفارة المتبادلة بين السلطان وملوك فارس فيقول : ان السلطان ندب سفيراً إلى ملوك فارس بهدية جيدة وصحبه جماعة من التجار[4] .

إن هذه الإشارات الخاطفة لا يمكن أن تعطي الصورة الحقيقية لهذا الأثر التأريخي القيم ولكنها تثير الرغبة في الانتفاع به ، ولعل هذا الإثارة في الرغبة قد تحققت بما قدمته من مواضع . داعياً الله أن يوفقنا لما فيه الخير .

مكة المكرمة — الدكتور نوري حمّودي القيسي

العــــرب لا يقلل من قيمة هذا البحث الممتع الوافي التعليق بكلمات موجزة

١ — كل ما في هذا الكتاب احتوى عليه كتاب «العقود اللؤلؤية» للمؤلف نفسه، ويمتاز هذا الأخير بالتراجم التي يوردهـــا المؤلف بعد ذكر حوادث السنين . ويظهر أن الخزرجي جرّد الحوادث من هذا الكتاب فأضافها الى « المسجد » والعبارات في الكتابين متفقة بدون زيادة أو نقصان .

٢ — في آخر كتاب « المسجد » زيادتان مضافتان اليه إحداهما من كتاب ابن الديبع — أشار اليها الأستاذ المحقق الدكتور القيسي — والأخرى أضافها السيد جحاف وهذا من علماء اليمن المتأخرين .

٣ — يظهر أن كلمة : (فيمن تولى اليمن من الملوك) مما أضيف بعد عهد

(١) ص : ١١٦ .
(٢) ص : ١٧٤ .
(٣) ص : ١٧٩ .
(٤) ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

المؤلف بعد أن نزع من كتابه ما يتعلق باليمن وأضيف اليه ما أضيف .

٤ - أما نسبة الكتاب الى الملك الأشرف الرسولي ، فيظهر أنها حدثت من قبيل التزلف إلى ذلك الملك الذي نسب اليه وإلى غيره من الملوك الرسوليين من الكتب ما يستغرب الباحث نسبته ، ومنها ما هو مطبوع - وقد تكون النسبة من الخزرجي نفسه تقربا إلى ملوك تلك الدولة التي أغدقت عليه الصلات والهبات ، وكفلت له العيش الرغيد في كنفها - كما أوضح ذلك في مواضع من كتبه .

٥ - هذه المخطوطة التي وصفها الدكتور القيسي كثيرة التحريف والتصحيف ، مع حسن خطها ، ولهذا وقع في كثير من نصوصها أخطاء سيئة أصلحنا ما تحققنا خطأه منها .

٦- ورد اسم (مسلم الشيرازي) ص ٤٤٤ س ٤/٣ و ص ٤٦٢ والصواب : مسلم الشيزري - نسبة الى بلدة شَيْزَر بقرب حلب بلدة الأمير أسامة بن منقذ وأسرته . ومسلم هو ابن محمود بن نعمة بن رسلان مؤلف كتاب « جمهرة الاسلام ، ذات النثر والنظام » من أغرب الكتب وأوفاها في موضوعه ، مخطوط في (دار الكتب المصرية) - ٩٢٢٣ أدب - وقد وصفه الأستاذ خليل مردم - رحمه الله - في « مجلة المجمع العلمي العربي » - م ٣٣ ص ٣ - وترجم مؤلفه ، وقد عاش مسلم في اليمن في أول القرن السابع ، في كنف الملك طغتكين بن نجم الدين بن أيوب أخي صلاح الدين ، وأورد في كتابه كثيراً من الأشعار فيه وفي غيره من أمراء اليمن . وقد أشار ابن خلكان (٢ ، ٢٠٧) اليه عرضا في ترجمة طغتكين وقال إنه توفي سنة ٦١٧ أو بعدها . والصواب أنه بعدها لأنه أورد في كتابه أرجوزة من نظمه ، في التاريخ من آدم الى عهد الإمام الناصر لدين الله في المحرم سنة ٦٢٢ . ومسلم أبوه محمود شاعر ، وابنه أحمد شاعر - أورد لهما قصائد - وجده أسد الدولة الأمير جمال الملك نعمة بن رسلان له مبارزات مع الروم سنة ٤٩٢ - على ما ذكر في كتابه .

وبعض الشعر الذي نقله الخزرجي موجود في « جمهرة الإسلام » وقد تصحف اسم الشيزري الى الشيرازي في « فهرس مجلة المجمع » ج ٣ ص ٤٥٠

- ١١ -

الحوراء : (*)

الحوراء قرية عامرة وأهلها أشراف ، وعندهم معدن يقطعون منه البرام ، ومنه يتجهز بها الى سائر الأقطار المصاقبة والمتباعدة ، ويتصل بها في جهة الجنوب وعلى قرب منها جبل رَضْوَى وفيه حجر المسنّ الذي يحمل الى جميع أقطار الأرض من بلاد المشرق والمغرب وشرب أهل الحوراء من آبار عذبة وبها أرما (؟) وقصر ومنه الى وادي الصفراء ، وهو مرسى حسن .

ومنه الى الغريفة(١)وهو مرسى عامر ، وماؤه يجلب من بعيد ومنه الى الجار ، ثم الى الجحفة ، ثم الى قديد ثم الى عسفان ، ثم الى جدة ، وقد سبق لنا ذكرهذه الحصون والمعاقل فيما سلف من ذكر الإقليم الثاني حيث جاء ذكر الجحفة ،وقُديد وعسفان والجار والسُقيا ولا حاجة لنا الى اعادة ذكر ذلك.

شمال الحجاز :

وعلى ساحل بحر القُلزُم مدينة مَدْيَن ، وهي اكبر من تبوك ، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب . ويحكى انها بئر معظمة وقد عمل عليها بيت ، وماء أهلها من عين تجري اليهم وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب ، وبها معايش ضيقة ، وتجارات كاسدة .

ومن مدينة مَدين الى أيلة خمس مراحل .

ومن أيلة الى الجار نحو من عشرين مرحلة .

(*) العناوين من وضع المجلة .

(١) لعلها : العذيبة .

ومن مدين الي تبوك في البرية شرقاً ست مراحل ومدينة تبوك بين الحجر وأول الشام منهـا على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام ، ولها حصن يطيف بها ،وشرب أهلها من عين ماء فوارة ، وبها نخيل كثير ويقال ان أصحاب الأيكة الذين بعث الله اليهم شعيباً كانوا بهـا وكان شعيب من مدين .

الحِجْرُ: والحجر من وادي القرى على مرحلة وهو حصن لطيف الحال من الجبال، وبها كانت[ثمود]وبها بيوت منقورة في الصخر ، وأهل الحجر وتلك النواحي يسمونها الأثالب ، وهي جبال في دائر متصل في العيان حتى إذا وصل المار بها اليها وتوسطها كانت كل قطعة منها قائمة بذاتهـا ، يطاف بكل واحدة منها من غير ان يمازج بعضها بعضا او يختلط بعضها ببعض . وبهـا الآن بئر ثمود ، ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمـال لا يكاد أحد يرتقي الى ذراها إلا بجد وجهد ومشقة ومن الحجر الى تيما اربع مراحل ، ومن تيما الى خيبر أربع مراحل .

تَيماء : وتيما حصن عامر ، بقيته أزليّة ، وهو أعمر من تبوك ، وبينها أربع مراحل وبين تيما وأول الشام ثلاثة أيام .. وبتيما مياه ونخيل ومنه تمتار البادية وبه تجارات قلائل .

ويسكن بين أيلة وتبوك الى وادي القرى قبائل لخم وجذام وجهينة وبلي وبلادهم بلاد إبل والبان وأسمان وهم ينتجعون مراعي هذه الأرضين ، ولهم كرم وبذل لما في أيديهم ، وهم يسكنون بيوت الشعر ، وينتقلون من موضع الى موضع ، لا يقيمون في مكان ، ولهم مصايف ومرابع يدورون عليها ، وينتقلون اليها مع إبلهم وهم يترددون اليها .

خيبر : ومدينة خيبر مدينة صغيرة كالحصين ، منيعة ، ذات نخـل وزروع ، وكانت في صدر الاسلام دارا لبني قريظة ، وكان بهـا السموأل ابن عاديا المضروب به المثل في الوفاء [1] . ومنها الى المدينة أربع مراحل .

---

(١) السموأل من تيماء كما هو معروف وقريظة كانت في المدينة .

رضوى : ويقرب خيبر جبل رضوى، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ورأسه من ينابيع الماء به كخضرة البقل ، وفيه مياه كثيرة وأشجار ، ومنه تحمل حجارة المسن الى سائر الآفاق ، وفيما بينه وبين دار جهينة ، وبساحل البحر ديار يسكنها قوم من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهم يسكنون بيوت الشعر ، وهم خلق كثير ، وزيهم زي الأعراب ، ينتجعون المراعي والمياه كانتجاع الأعراب ، لا فرق بينهم وبين العرب في خلق ولا خلق ، وتتصل ديارهم مما يلي الجنوب بوادي ودّان ، وهو من الجحفة على مرحلة ، وبينها وبين الأبواء التي في طريق الحاج ستة أميال ومن تيما إلى دومة الجندل أربع مراحل .

ودومة الجندل حصن منيع ، ومعقل حصين ، وبه عمارة ، وتتصل به عبر اليمن، وبرية خشاف من ناحية السماوة ، وبرية خشاف هـي ما بين الرقة وبالس عن يسار الذاهب .

الأحساء ونواحيها :

فأما الأحساء فهي مدينة على البحر الفارسي تقابل أوال ، وهـي بلاد القرامطة ، وهي مدينة حصينة لأنها صغيرة ، وبها أسواق تقوم بهـا في تصرفاتها . وأما مدينة القطيف فإنها مجاورة للبحرين وهي في ذاتها كبيرة .

ومن القطيف الى حمص (؟) يومان وهي على البحر الفارسي ، ومن مدينة القطيف الى نيشة (؟) مرحلة كبيرة، ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بر متصل لا عمارة فيه ، أي ليس به حصن ولا مدينة ، وإنما فيه أخصاص لقوم من العرب يسمون عامر بن ربيعة .

ومدن البحرين : هجـر وحمص والقطيف والأحساء وبيشة والزارة ، والخط التي تنسب اليها الرماح الخطية ، وسميت الجهة بالبحرين بجزيرة أوال ، وذلك ان جزيرة أوال بينها وبين فارس مجرى ، ومنها الى بر العرب مجرى وهي ستة أميال طولا وعرضا كذالك ، ومنها إلى البصرة خمس مائة ميل وأربعون ميلا ، لأن أيضا من جزيرة أوال إلى جزيرة خـارك مائتا ميل وأربعون ميلا .

وجزيرة خارك ثلاثة أميال في ثلاثة أميـــال ، وبها زروع وأرز كثير وكروم ، ونخل ، وهـــي جزيرة حسنة كثيرة الأعشاب خصبة ، كثيرة الزروع والنخل ، فيها عيون ماء كثيرة ومياهها عذبة . منها عين تسمى عين أبو زيدان ومنها عين مرتمه . ومنها عـــين عذار وكلها في وسط البلد ، وفي هذه العيون مياه كثيرة نابعة منوعة دفاقة ، تطحن عليها الأرحاء ، والعين المسماة عين غرار فيهـــا عجب لمبصرها وذلك انها عين كبيرة قدرا مستديرة الفم في عرض ستين شبراً ، والماء يخرج منها وعمقها يشف على خمسين قامة ، وقد وزن المهندسون والحذّاق من العلماء علوّ قممها فوجدوه مساوياً لسطح البحر ، وعامة اهل البلاد التي في هذه الجهة يزعمون انها متصلة بالبحر لا اختلاف بينهم في ذلك ، وهذا غلط محال ، لا شكّ فيه لأن العين ماؤهـا عذب حلو لذيذ شهيّ بارد وماء البحر حار زعاق ، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها مالحاً كماء البحر . وفي هذه الجزيرة أمير قائم بنفسه ، وقد رضيه أهل الساحلين لعدله ومتانة دينه ، ولا يلي مكانـــه اذا مات إلا من هو مثله في العدل والقيام بالحق ، وفي هذه الجزيرة رؤساء الغواصين في البحر ساكنون بهذه المدينة ، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة ، ويقيمون بها الأشهر الكثيرة حتى يكون وقت الغوص ، فيكثرون الغواصين (١) .

إلى هنا انتهى ما أردنا نقله من كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسي ، نقلاً مجرداً ، الغاية منه تقديم نصوص جغرافية من هذا الكتاب مع ما في نسخة المخطوطة من تصحيف وتحريف يمكن للباحثين تقويمها وإصلاحها ، وسننقل نصوصاً أخرى من مؤلف أندلسي مما يتعلق بجزيرة العرب .

---

(١) « نزهة المشتاق » للادريسي ٩٢ / ٩٣ نسخة باريس وقـــد تحدث بتفصيل عن الغوص هنا .

مَنَالُ الطَّالِبِ فِي شَرْحِ طِوَالِ الغَرَائِبِ

- ١ -

ومن السنن الحسنة لأستاذنا العلامة الجليل أبي الغيث خير الدين الزركلي – وما أكثرها ! – أنه يُتْحِف مريديه ومستزيدي علمه الجمّ ، عند عودته من كل رحلة يقوم بها إلى إحدى الأقطار التي تحوي مكتبات ، بما يجده فيها من طريف الكتب وبما يعلمه عن مخطوط ذي قيمة في التراث العربي .

وكان من تُحفه – بعد عودته من رحلة طويلة قام بها خلال فصل الصيف في هذا العام أن قدم لي كتاباً مُصوراً وقال : إن هـذا الكتاب من أمتع المؤلفات في موضوعه . وبعد أن تصفحت الكتاب ذكرت أنني كنت اطلعت على النسخة الأصلية منه في (الخزانة العامة) في مدينة الرباط ، وكانت من بين الكتب التي رغبت تصويرها فلم يتسنّ لي ذلك . وقد وصفتها وصفاً مجملاً في كلمة نشرتها قبل بضع سنوات . ولكنْ أبا الغيث هيأ لي ما لم استطع الحصول عليه ، بحيث مكنني من الاستفادة من هذه المخطوطة استفادة كاملة ، وأن سجّل من وصفها ما يصدق عليه قول الشاعر :

يَجُودُ علينا الخَيِّرون بمالِهِمْ   ونَحْنُ بمالِ الخَيِّرِينَ نَجُودُ

تلك المخطوطة هي كتاب «منال الطالب» لابن الأثير الذي يحسن أن أمهد لوصفه بوصف مجمل لأسرة المؤلف .

أبناء الأثير :

شجرة مباركة أثمرت ثماراً طيبة في حقل الثقافة العربية ، هذه الشجرة عربية الأصل والموطن فجذورها تمتد إلى شيبان وموطنها الموصل في القطر العراقي الحبيب .

من هذه الشجرة المباركة عرف ثلاثة من العلماء يدعى كل واحد منهم بابن الأثير وهم :

عزُّ الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحدالشيباني الجَزَرِيّ ،

اللغوي المحدث مؤلف « التاريـــخ » و « الأنساب » و « وأسد الغابة في معرفة الصحابة » وغيرها .

وأخوه أبو السعادات مؤلف « جامع الأصول » في الحديث و « النهاية » في غريب اللغة .

والثالث ضياء الدين أبو الفتح الوزير نصر الله مؤلف« المثل السائر » .

ومن لطائف ما قيل فيهم :

وبنو الأثير ثلاثـــة قد حاز كلٌ مُفتَخَرْ

فمورِّخ جمع العلو م ، وآخَرٌ ولي الوزر

ومحدّث كتب الحديـ ث له «النـّهاية» والأثر [1]

ولنورد طرفا عن حياة كل واحد منهم ولنبدأ باكبرهم سناً ، وجُلُّ ما نورده إن لم يكن كلّه – من كتاب أستاذنا أبي الغيث الزركلي « الأعلام ».

١ – المبارك بن محمد (٥٤٤ / ٦٠٦ ﻫ ١١٥٠ / ١٢١٠ م) .

هو مجد الدين المبارك بن محمـــد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، ابو السعادات ، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل ،وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في احدى قرى الموصل . قيل : إن تصانيفه كلها ألفهـــا في زمن مرضه إملاءً على تلاميذه وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة . من مؤلفاته :

١ – النهاية في غريب الحديث ٤ اجزاء مطبوع .

٢ – جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٠ اجزاء مخطوط جمع فيه الكتب الستة .

٣ – الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في التفسير .

٤ – المرصع في اللغة ط .

٥ – الرسائل .

---

(١) : « تاج العروس » – أثر –

٦ – الشافي في شرح مسند الشافعي . خ .

٧ – المختار في مناقب الأخيار . خ .

٨ – تجريد اسماء الصحابة . خ .

٩ – الباهر في النحو .

١٠ – البديع شرح فصول ابن الدهان في النحو .

١١ – البنين والبنات والآباء والأمهات في رجال الحديث .

١٢ – الجواهر واللآلي من أمالي المولى الوزير الجلالي .

١٣ – صناعة الكتاب .

١٤ – المصطفى المختار في الأدعية والأذكار .

١٥ – منال الطالب (موضوع حديثنا) .

٢ – علي بن محمد (٥٥٥ / ٦٣٠ – ١١٦٠ / ١٢٣٣ م)

عز الدين المؤرخ ولد ونشأ بجزيرة ابن عمر وسكن الموصل وبها توفي ومن مؤلفاته :

١ – الكامل في التاريخ الى سنة ٦٢٩	١٢ جزءاً	(مطبوع)
٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة	٥	ط
٣ – اللباب مختصر أنساب السمعاني	٣	ط
٤ – تاريخ الدولة الأتابكية		ط
٥ – الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور		ط

٦ – تاريخ الموصل – لم يُتِمه

٧ – آداب السياسة

٨ – كتاب الجهاد

وقد نسب اليه كتاب « تحفة العجائب وطرفة الغرائب » غير أنني بعد أن طالعت نسخة من هذا الكتاب ظهر لي أن مؤلفها متأخر عن عصر ابن الأثير هذا بزمن طويل ، وإن كان يدعى ابن الأثير .

٣ – نصر الله بن محمد (٥٥٨/ ٦٣٧ هـ – ١١٦٣ / ١٢٣٩ م) .

ولد في جزيرة ابن عمر وتعلم في الموصل ، واتصل بخدمة صلاح الدين ، وولي الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين بدمشق فلم تحمد سياسته فخرج

منها مستخفياً في صندوق مقفل ثم انتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب (سنة ٦٠٧) ولم تطل اقامته فيها وتحول إلى الموصل فكتب الإنشاء لصاحبها محمود بن عزّ الدين مسعود ، وبعث رسولاً في أواخر أيامه إلى الخليفة فمات ببغداد .

من تآليفه :

١ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (مطبوع) .

٢ – المعاني المخترعة – في الإنشاء .

٣ – الوشي المرقوم في حلّ المنظوم (مطبوع) .

٤ – الاستدراكات .

٥ – البرهان في علم البيان .

٦ – ديوان الترسل .

٧ – رسالة في الضاد والظاء .

٨ – رسالة في وصف مصر .

هذا مجمل حياة أبناء الأثير ، ولنعد لموضوعنا :

كتاب منال الطالب : وكتاب منال الطالب من الكتب القيمة في موضوعها أوضح مؤلفه الغاية منه في المقدمة التي سنوردها كاملة ، ويظهر أنه من آخر ما ألفه أبو السعادات المبارك ابن الأثير من المؤلفات ، كما تدل على ذلك الاجازة التي كتبها أخوه علي المؤرخ بخط يده في طرة الكتاب ، ويظهر أن المؤلف كان يستعين ببعض تلاميذه بايراد النصوص المطولة من مظانها ثم يأمر بجمعها ويملي شرحها ، ولهذا فقد عول أكثر ما عول على كتب خمسة في غريب الحديث هي كتاب أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي وأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة والحافظ أبي موسى الأصبهاني والزمخشري .

ولو أردنا حصر مصادره حسبما جاءت في الكتاب لوجدناها كما يلي (مع ذكر الصفحات التي وردت فيها الأسماء) :

١ – محمود بن عمر الزمخشري : ٤ / ٣٨ / ٤٤ / ٤٨ / ٥٤ / ٧٠ / ٨٠ / ١٠٧ / ١٣٨ / ١٩٤ / ٢٠٨ / ٢١٤ / ٢١٦ / ٢٢٨ / ٢٣٨ / ٢٤٤ / ٢٥٢ / ٢٦٥ /

٢٦٩ / ٢٧٤ / ٢٨٠/٢٧٧ / ٢٨٤ / ٢٨٧ / ٢٩١ / ٢٩٦ / ٣٠٠ / ٣٢٠ / ٣٣٣ / ٣٤٧ / ٣٥٢ / ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ ، ٤٦١ ، ٤٧٢، ٤٨١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .

عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ٤ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ١٠٧ ، ١٥١، ١٤٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٨، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩١، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٤٨١ ، ٤٩٥

حمد بن محمد الخطّابي : ٤ ، ٣٢ ، ٥٦ ، ١٣٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٣٣٣ ، ٣٦٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٩٩، ٤٠٥ ، ٤٤٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥١١

أحمد بن محمد الهروي : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٤١ ٤٩٥ .

محمد بن أبي بكر الحافظ الأصبهاني : ١٦ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦١.

أبا نعيم ٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣

أبا القاسم الطبراني : ٧٠ ، ١٢١ ، ٢١٩ ، ٣٦٨

أبا القاسم البغوي : ١٢١

ولم نشر إلى كثير من الصفحات التي ورد فيها ذكر الزمخشري وابن قتيبة إذ قل أن تخلو صفحة من الكتاب من اسم احدهما ، وقد يكتفي بالاشارة إلى المؤلفات التي ينقل منها كأن يقول : كتاب الزمخشري (١٤ ، ٢٠ ، ٣٠١ ، ٣٥٠) وكتاب القتبي (١١١، ١١٣ ، ٢٨٧) و « غريب الخطابي (٣٣٥) .

وينقل عن مشاهير اللغويين وقد يكون ما ينقله بالواسطة ، فينقل عن الجـوهري (٧٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٢١ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٥٠٢) والازهـري (٤٠ ، ٤٣ ، ١٨٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢) والاصمعي (١٩٥ ، ٢٣٣) وابن الانبـاري (٨٢ ، ١٨٣) ابي عمر الزاهد (٣٨٥ ، ٥٠٠) ابي زيد (٣٦٣) السيرافي (٤٥٠) الليث (٣٨٢) .

وقد يشير إلى بعض الكتب بقلة ، ومن تلك الكتب :

١ – الإكمال – للأمير ابن ماكولا (٢٩٦) ٢ – الحِلْيَةُ لأبي نُعَيم (٢٦٣)
٣ – السيرة – لعبد الملك بن هشام (٢٠١) ٤ – صحيح البخاري (٤٤١)
٥ – صحيح مسلم (٤٤١) ٦ – الطبقات – لمحمد بن سعد : (٢٣٤)
٧ – غريب الحديث لابن الأنباري (١٨٣) ٨ – المعجم الكبير للطبراني (٢٣)
٩ – معجم الحافظ أبي أحمد العسال (١٥٧) ١٠ – ما قالت القرابة في الصحابة ، للدارقطني (٣٣٥) ١١ – المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار (٢٠١)
١٢ – المؤتلف والمختلف للدارقطني (٣٣٥)

وبعض هذه الكتب ترد في سياق النقل .

ويظهر ان الغاية من تأليف هذا الكتاب لغوية بحتة ، فمع أن المؤلف يحرص على ذكر من روى الأخبار والأحاديث التي يوردها إلا أن هناك أحاديث لم يذكر رواتها منها خمسة أحاديث لعلي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣) وحديثان لفاطمة الزهراء رضي الله عنها : (٤١٤ ، ٤٣١) ، وحديث لمعاوية رضي الله عنه : (٣٨٣) وحديث للاعشى الحرمازي (٤١٠) وحديث لصعصعة بن صوحان (٤٨٩) .

ويمكن أن يلمح الغرض من تأليفه بالإشارات الآتية :

١ – بعد أن اورد حديث فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – المتعلق بفَدَك [١] في ست صفحات قال : (هذا الحديث أكثر ما يروى من طريق أهل البَيت ، وإن كان قد روي من طرق أخرى أطول من هذا وأكثر ، وأهل الحديث يقولون : إنه موضوع على فاطمة . وقال ابن قتيبة : قد كنت كتبته وأنا أرى أنّ له أصْلاً ، وسألت عنه رجال الحديث فقال لي بعضُ نقلة الأخبار : أنا أسَنُّ من هذا الحديث ، وأعرفُ من عَمِلَهُ ! . قلت : هذا الحديث – وإن كان موضوعاً كما ذكروا – فهو من أفصح الكلام

(١) : انظر عن تحديد موقع فدك كتابي « في شمال غرب الجزيرة » من ص ٢٩٥ إلى ص ٣٠٨ .

وأحسنِه مأخذاً أو احتجاجاً ولعَلّ واضِعَه لا ينقص درجةً عن الحجاج ابن يوسف الثقفي ، وكتب غريب الحديث مشحونـَة بشرح كلامه وخُطَبِه فلا بأس أن يُجْرَى هذا الحديث مجراها في شرح غريبه ومعانيه ، ولعل اكثر ما يُرْوى من أحاديث الغريب والطوال جارية هذا المَجرىَ في التَّصنـع . والله أعلمُ (١)

٢ – وقـال : (حديث قُسّ بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه حديث مشهور متداول بين رواة الحديث وأئمتـه ، وقد ذكر بعض الحفاظ أنه موضوع ، فأما الرواية الأولى فهي معروفة بمحمد بن الحجـاج اللخمي عن مجالد بن سعيد عن الشّعْبي عن ابن عباس ، وقد أخرجهـا أبو القاسم البغوي وأبو القاسم الطبراني وغيرهما . وأما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بِشر بن نُمير عن سعيدبن جُبَير عن ابن عباس قال أبو موسى:وهو غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن ابن عباس من غير وجه ، وروي عن أنس بن مـالك وأبي لُبابَة ، وكلُّ ألفاظِه مصنوعة مُلفّقة ، لكن هكذا يروى ، على أنّا قد تركنا بعض الفاظه التي أطالوه بها اختصاراً والله أعلم(٢).

٣ – وقد يقول : (ذكرناه مع قلة غريبة لإشكال معناه (٣٩٦)

٤ – وها هو نص خطبة الكتاب كاملة وهي أبلغ في الإيضاح :

بسم الله الرحمن الرحيم : أحمد الله على نِعَمِه حق حمده ، وأثني عليه بآلائه الى منتهى الوُسْع وُجهده ، حمد من جعل الإخلاص غاية قصده ، والتوفيق قرين خطائه وعمْدِه ، وأُصلّي على محمد رسوله وعبده ، هادم مشيد الكفر وهازم جُندِه ، وخيرته المؤيّدِ بنصرٍ من عنده ، وعلى آلِهِ وأصحابه وأزواجه من بعده ، صلاة تُحِلّهم دار كرامته ورَفْدِه ، وتُنْهِل قائلها من نمير الفلاح وعِدّه . أما بعد فإني لما بلغتُ الأمَل والغرض ، وأدّيْتُ النفل والمفترض ، من تصنيف كتاب « النهـاية في غريب الحديث والأثر »

(١) ص ٤١٩ / ٤٢٠ .
(٢) ص ١٢١ / ١٢٢

وفرغت من تأليفه وجمعه، وترتيبه في أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المُدْرجُ في أثنــائه ومطاويه ، مفرّقاً في أنواع صنوفه ، مقسما في أبواب حروفه ، حيث التزمنا في وضعه التقفية على حروف المعجم ،والإبتداء بالأوّل فالأول والأقدم فالأقدم، ولا تكاد تجدفيه حديثاً تاماً وإن قلّ كلِمُهُ، ولا أثراً متّسِقاً وإن استقلّ مُنتظِمُه – أحببت أن أستأنف كتابا مختصراً أجمع فيه من الأحاديث [ص ٣ :] والآثار الطّوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه اكثرُ الناسِ ،ويَعيز إدراك بعضه على كثير من الخواص أورِدُها كاملة متناسقة الألفاظ تامة الإيراد والاقتصاص ،وأتبِع كل حديث منها أو أثر شرح غريبه وتفسير معانيه ، وإيضاح المقاصد المودعة فيه ، وقد كان الأئمة والعلماءَ رحمة الله عليهم – جمعوا الأحاديث الطوالَ وَدَوّنوها ، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها ، فأتوا منها بكل حسنٍ جميــل ، واقتنوا به كل ذكر كريم وأجر جزيــل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طوال الحديث والأثر لكن جمعوا ما روي منها طويلا ، سواء كان غريبه كثيراً أو قليلا ، ونحن اخترنا من الطوال ما كان اكثر الفاظه غريباً على أيّ حالَيْهِ كان بعيداً أو قريبــاً ، توخياً للحفظ والتناجي ، وبلاغاً للآمل والراجي ، ولم نستقص في جمع الاحاديث والاستكثار منهــا خوف الضجر والمَلَلِ ، وهرباً من الوقوع في الخطــإ والزلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة في كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرحَ ما اخترْناه منها ، وبسطنا القول في إيضاح [ص ٤ :] ما شَذّ من وجوه التأويل عنها، وجمعنا بين أقاويل من تقدم من العلماء ، وسبق من الفضلاء في شرحهــا وتفسيرها ، وتبيين معانيها وتقريرها ، وأضفنا اليه ما عسى أن يكون ُغفِل عنه ، أولم يُبلغ الغرض منه ، مستعينين بالله تعــالى ، ومتوكلين عليه ، ومستمدين من ألطــافه حسن التوفيق في الدنيا ، والنجاة يوم الوقوف بين يديه – إنه وليُّ الإجابة .

وقد قسمناه إلى قسمين : أحدهما : في أحاديث رسول الله ﷺ مما له فيه كلام أو ذِكْر سيق الحديثُ له ، أو بُني عليه ، والثاني في آثار جماعة من

أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين ، وسميته كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » وبالله أعتضد وأستمين وأستمد التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذره من قول أو فعل ، وأرغب إلى كرمه أن يتغمدني برحمته ، ويجري الخير على لساني ويدي مدّة حياتي ، إنه ولي الإجابة وهو حسبي ونعم الوكيل) .

أما ما دعاه « طوال الغرائب » فهي أخبار وأحاديث تبلغ ٦٩ ها هو بيانها مجملة ثم مفصلة :

٢١ — من أحاديث النبي ﷺ مما له فيه كلام أو ذِكْر
٣ — من أحاديث أبي بكر الصديق
٨ — من أحاديث عمر
٢ — من أحاديث عثمان
١١ — من أحاديث علي
٢ — من أحاديث العباس
٢ — من أحاديث عبدالله بن الزبير
٢ — من أحاديث عمرو بن العاص
٢ — من أحاديث معاوية
٢ — من أحاديث فاطمة الزهراء
٣ — من أحاديث عائشة
٢ — من أحاديث عبد الملك بن عمير
٩ — أحاديث لتسعة من الرواة

القسم الأول : في احاديث النبي ﷺ مما له فيه كلام أو ذكر سيق الحديث له (صفحة ٥ إلى ٢٣٦) .

١ — حديث طهفة بن زهير النهدي الوافد على رسول الله ﷺ وكتابه ﷺ لبني نهد (٥) .

٢ — حديث خزيمة السلمي البهزي وكان خرج مع النبي ﷺ في عير الحديبة (٢٨) .

٢ - بلغها أن أناساً يتناولون من أبيهــا ثم اورد خطبة لها في الثناء عليه) (٣٥٩) .

٣ - خطبة لها بالبصرة بعد مقتل عثمان (٤٧٠) .

حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها - :

١ - لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتهــا أم سلمة (ثم اورد كلامها في نهي عائشة عن الخروج) (٤٨٠) .

أحاديث التابعين (٤٨٨) .

حديث صعصعة بن صوحان العبدي :

١ - دخل على معاوية فلم يسلم عليه بالخلافة فقال له ممن أنت ؟ (ثم أورد وصفه لبعض القبائل العدنانية) (٤٨٨) .

حديث الأحنف بن قيس :

١ - قدم على عمر بن الخطاب في وفد أهــل البصرة (ثم ذكر وصفه للبصرة) (٤٩٥) .

حديث عبد الملك بن عمير الفَرَسي :

١ - قال تفاخر نفر مُضَريٌ وأزديٌ ومدني وشامي وهجري وبكري وطائفي (٤٩٨) .

٢ - قال : دخلوا على ابي العريان يعودونه فقالوا : كيف تجدك . قال : أجدني ابيّض مني ما كنت أحبُّ أن يسود - الخ (٥٠٣) .

حديث عمرو بن مسعود :

١ - أنه دخل على معاوية وقد أسنّ فقال له معاوية : كيف تجدك ؟ (ثم وصف ما يعانيه من الكبر) ٥٠٥

حديث الحجاج بن يوسف الثقفي :

١ - دخل عليه سيابة بن عاصم السلمي فقال من أي البلدان أنت؟قال : من حوران . قال : هل وراءك من غيث ؟ (ثم أورد وصف الغيث في أقوال) ٥٠٩

انموذج من الكتاب : ونورد هنا نصاً وافيا يوضح طريقة المؤلف في شرح تلك الطوال قال :

حديثُ عبد الملك بن عُمَيْر الفَرَسي : قال تفاخر سبعة نفر مُضَريٌّ وأزْديٌّ ومدنيٌّ وشاميٌّ وهجريٌّ وبكريٌّ وطائفي فقال المُضريُّ : هاتُوا كجزُورٍ سنمةٍ ، في غَدَاةٍ شَبِمَةٍ ، في قُدُورٍ رَذِمة - أو هزمة ، بمَوَاسٍ خَذِمَة ، معبوطةٍ نفسُها غير ضَمِنة . وقــال الأزديُّ : والله لقُرْصٌ بُرّيٌّ ، بأبطَحَ قُرّيٍ ، بلبن قَشْريٍ - أو عُشَريٍ - بِسمْنٍ وَعَسَلٍ أطيبُ من هــذا . وقال المدَنيُّ : والله لَفُطسٌ خُنسٌ ، بِزُبْد جَمْسٍ ، يغيبُ فيها الضِّرسُ أطيب من هذا . وقال الشامي : والله لَخُبْزَةٌ أنْبِخَانِيَةٌ ، بخَلٍّ وزيتٍ [ص ٤٩٩ :] ينال أدناها فيضرط أقصاها يتَخطّى اليها تخطّي بنات المخاضِ من الخَرفِ أطيبُ من هــذا . وقال الهَجَرِيُّ : والله لَتَمضُوضٌ كأخفافِ الرِّباع أطيبُ من هذا . وقال البكريُّ : والله لقارصٌ قُمارِص ،يقطرُ منه البَولُ قطرةٌ قطرة ،أطيب من هذا . وقال الطائفيُّ : والله لعِنَبٌ قطِيفٌ ،بوادي ثقيف ،أصابه الخريف أطيبُ من هذا[1].

أخرجه الخطابي والزمخشري ،وهو من حديث أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير .

شرحُهُ : عبد الملك بن عُمَيْر من ولد مُرَّة بن أُدد ، تابعي كوفي والفرسيُّ : - بالفاء والسين - منسوب إلى فرس سابق كان له عُرِف به ، ومن لا يدري يقول القُرشي ، وليس كذالك ، ويقال له القبطي لأن فرسه هذا كان يعرف بالقبطي فنُسِبَ إليه .

والمُضَريُّ : منسوب إلى مضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان ، وهــو معدول عن ماضرٍ ، وهو اللبن الحامض الذي يحذِي اللسان . والجزور : يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، إلا أن اللفظة مؤنثة ، يقال : هــذه الجزور ، وإن أردت ذكراً ، والجمع جُزُر وجزائر ، والأصل فيهـا الناقة السمينةُ التي تصلح للجَزْر وهو النَّحْر ،لتوكل ثم اتّسِعَ فيها [ص ٥٠٠ :] فأطلقت على كل بعير . والسَّنِمةُ : العظيمة السنام ، وسنامُ كلِّ شيء أعلاه والشَّبِمَةُ : الباردة ،وماء شَبِمٌ: أي بارد . والرَّذِمةُ : الممتلئة التي تسيل يقال : رذمتِ القدرُ تَرْذُم رذما . قال الخطابي : وقال لي أبو عُمَر - يعني الزاهد - : إنما هي قدور هزمة ، من هزيم القِدْر وهو صوت غليانهـــا ،

---

(١) ص ٤٩٨ إلى ٥٠٣

وليس الرَّدْمُ من صفات القدر ، وإنما يقال : جفان رَدِمة . والمَواسي : جمع الموسى وهي آلة الذبح . والخِذمَةُ : القاطعة ، يقال : خذَمتُ اللحم أخذِمه خَذْمَةً . والمعبوطة : المنحورةُ وهي فتية من غير علة بها ، وقد عبطها واعتبطها فهي معبوطة ، ومات الإنسانُ عبطة إذا مات شابًا من غير مرض ولا عِلة قال أمية بن أبي الصَّلت :

مَنْ لَمْ يمتْ عَبطَةً يَمتْ هَرَماً لِلمَوتُ كأسٌ والمَرءُ ذائِقها

والضمنةُ : المريضة الزَّمنَةُ ، وقد ضمن يضمن ضمانة ، أي أن هذه الجزور لم تنحر لمرض نزل بها ، إنها نحرت للأكل ، وهم يذمون على أكل لحوم ذات الأدواء ويقولون : بنو فلان يأكلون العوارض ، وهي التي قد عرض لها آفة من مرض أو كسر فنحرت .

والأزديُّ [ص ٥٠١ :] منسوب إلى الأزد ، واسمه دَرَا بن الغوث من بني زيد بن كهلان بن سَبَا . والقُرْص : الرغيف ، والقرصة أخصُّ منه . والبُرّيُّ : منسوب إلى البُرّ الحِنطة . والأبطح : الموضع المتسع من الأرض ومؤنثه البطحاء . والقُرّيُّ : منسوب إلى القُر : البرد . وسُئل عنه شِمْرٌ فقال : لا أعرفه إلا أن يكون من القُرْهِ . والقُشريُّ : بالضم والكسر فالضمُّ منسوب إلى القُشرة وهي المطْرة التي تقشر الحصا عن وجه الأرض [١] يريد لبناً أدَرَّ المَرعَى الذي ينبته هذا المطر ، والكسر : يريد به اللبن الذي تعلوه قشرة من الرغوة التي تكون على رأسه ، والعُشري منسوبٌ إلى العُشَر . وهو شجر معروف ، يريد لبن إبلٍ تَرعى العُشَر [٢] ، أومنسوب إلى العُشراء من النوق .

والمَدَنيُّ : المنسوب الى مدينة الرسول ﷺ بحذف الياء والهاء حملاً على نظائره كرَبَعِيٌّ في ربيعة ، وحَنَفِيٌّ في حنيفة . والفُطْسُ ، جمع أفطس وهو في الأصل انفراشُ الأنف ، وانخفاضُ قصبته . والخُنْسُ : جمع أخنس وهو في الأصل انقباض قصبة الأنف وعرضُ الأرنبة ، والمراد بها تمْرُ

---

(١) لعل الصواب : تقشر التراب « العرب » .

(٢) العُشَر : شجر مُرُّ الطعم لا يرعاه شيء من الدواب « العرب » .

المدينة: [ص ٥٠٢ :] لأنها صفار الحبّ لاطئة الأقماع ، والجَمْسُ -بالفتح- الجامد ، يقال : جَمَس الماء والسمنُ جمْساً إذا جمد ، وإن ضمّت الجيم فهو جمع جُمْسَةٍ ، وهي البُسْرة التي أرطبت كلها وهي صُلْبَة لم تنهضم بَعْدُ ، ويكون قد جعلها من صفة التمر ، وفصل بينها بالزبدة وقوله : يغيب فيها الضّرسُ : يريد غِلظَها وسُمْكها . و الشأميُّ : - بهمزة ساكنة - منسوب الى الشأم ، وكثير من الناس يقول : شآمي - بالمدّ وتشديد الياء - وليس بالعالي ، والقياس أن يقال مع المدّ : شآمٍ كيَمَانٍ في يَمَني . والأنبخانية : الليّنة ، يقال : نبَخَ العجينُ ينبخ : إذا اختمر ، وقيل : حَمَض . وعجين أنبخان فالهمزة فيه زائدة . وقوله : ينال أدناها فيضرط أقصاها : يريد إذا عَضّ جانباً منها صرّ الجانب الآخر لاختمارها وقوّتها . وبنات المخاض : النوق اللاتي أمهاتهن حوامل وهن في السنة الثانية .

وقوله من الحرف [١]

والهجري : منسوبٌ الى هَجَر ، وهي مدينة بالبحرين . قال الجوهري: اسمه مذكر مصروف . وعند المدينة قرية يقال لها [ص ٥٠٣ :] هجر ، اليها تنسب القلال الهجرية . والتّعضُوضُ - بفتح التاء - : ضرب من التمر أسود ، شديد الحلاوة ، ومعدنه هَجَر ، والتاء فيه زائدة . والرّباع : الفُصلان ، واحدها رُبَعٌ ، شبّهه لكبره بأخفافها .

والبكريُّ : منسوب إلى بكر بن وائل ، بطن من ربيعة ، والقارص اللبن الذي يقرص اللسان بحموضته ، والقُمارص : أشد حموضة منه لزيادة الميم ، وقيل : القمارص إتباع للقارص . يريد أنّ بول شاربه يقطر منه لشدة حموضته .

والطائفيُّ :منسوب الى الطائف،البلدة المعروف بالحجاز. والقطيف:المقطوف من العنب عند اجتنائه ، فعيلٌ بمعنى مفعول . والقِطْفُ - بالكسر -: العنقود . وكل واحد من هاؤلاء السبعة وصف ما هو الغالبُ على مأكوله،وما هو في بلده وعنده . والله أعلم .

---

(١) بياض بقية السطر

الربّان أحمد بن ماجد

– ٤ –

وأخيراً أبحر الاسطول المصري إلى الهند في سنة ٩١٣ هـ ، ١٥٠٧ م ، وحينما وصل اليها،أرسل الميدا Almeida حاكم الهند البرتغالي ، وولده لورنزو Lourenço لمنازلة الاسطول المصري . والتقى الاسطولان في شاول Chaul (يناير ١٥٠٨ م) ، واشتبكا في معركة ضارية ، استمرت يومين كاملين ،عزم البرتغاليون في نهايتها على الفرار ، ولكن المصريين ضربوا نطاقاً حول الاسطول البرتغالي ، وتمكنوا من اقتحام سفينة القيادة البرتغالية وقتل قائدها واغراقها . ولم ينج من الاسطول البرتغالي ، سوى سفينتين صغيرتين انتهزتا فرصة الفوضى التي اعقبت اغراق سفينة القيادة البرتغالية ، فأنسلتا من الحصار ،وفرتا إلى القاعدة البرتغالية في كوشين Cochin تحملان إلى البرتغاليين أنباء الفاجعة التي حاقت بأسطولهم (١) .

ولكن حسين الكردي لم يتابع هجومه على البرتغاليين ، وتلكأ طويلاً في ديو Diu حتى هاجمه الميدا في ٣ فبراير سنة ١٥٠٩ م ، ٩١٤ هـ . وكان الاسطول البرتغالي مؤلفاً من ١٩ سفينة ، بينما لم يتجاوز عدد الاسطول المصري ١٠ قطع فقط . ومع ذلك فلم تسفر المعركة عن نتيجة حاسمة ، ولم يستطع أحد الطرفين أن يدعي النصر لنفسه (٢) وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الطرفان . ولكن الأمير حسين الكردي اضطر إلى الانسحاب من الهند ، فأبحر إلى البحر الاحمر بثلاث سفن محملة بالتوابل والبضائع الثمينة ، قدمها اليه ملك كجرات ، كيما يستعمل ثمنها في تحصين جدة واكمال سورها ، حماية لها من قرصنة البرتغاليين ، إذا ما سولت لهم أنفسهم مهاجمتها .

(١) Panikkar, Asia and wester Dominane, p. 45; F. B. Eldridge, The Background of Eastern Sea Power, pp. 116 - 7

(٢) Panikkar, p. 45.

وما كاد حسين الكردي يصل إلى جدة ، حتى شرع في اتمام « عمـــارة الصور والأبراج » . وهذا مـــا يؤكده ابن اياس في عبارة يشوبها شيء من الاضطراب [١] ، ويؤكده المؤرخون البرتغاليون الذين كانوا يتتبعون من الهند حركات حسين الكردي بدقة بالغة [٢] .

ثم توجه حسين الكردي إلى القاهرة ، فوصلها يوم الخميس سلخ رمضان المبارك سنة ٩١٨ هـ ، ١٥١٢ م بعد غيبة دامت « سبع سنين وثلاثة أشهر » وكان الغوري أثناء ذلك يعمل جاهداً على اعداد اسطول ثان في السويس ، على الرغم من الازمات العصيبة التي كانت تكتنفه من كل ناحية ، والعقبات الكبيرة المثبطة التي اعترضت سبيله . وقد ساعده على ذلك السلطان بايزيـد الثاني ، فأمده بكثير من المعدات وادوات القتال . وقد وصلت أحـــدى امداداته إلى مصر في أواخر شوال سنة ٩١٦ هـ ، ١٥١٠ م [٣] ، ووصلت اخرى في رمضان سنة ٩١٨ هـ ، ١٥١٢ م [٤] . ثم أمده بـ ٢،٠٠٠ مقاتل من العثمانيين ، وعلى رأسهم الرئيس سليمان للعمل في الاسطول [٥] . لم أهتد إلى تاريخ مجيء الرئيس سليمان ورجاله إلى مصر ، ولا ادري هل جاءها مع الامدادات العثمانية الأولى؟ ام مع الثانية ؟ ام جاء مع رجاله على حدة؟ ولكنه كان في السويس عندما زارها السلطان الغوري في أوائل سنة ٩٢٠ هـ ، ١٥١٤م للكشف على سفن الاسطول المصري التي كان يجري انشاؤها هناك [٦] . وكان سليمان هو الذي أشرف على أعداد ذلك الاسطول وتجهيزه [٧] . وقـد انفق عليه الغوري ،

---

(١) ابن إياس ، بدائـــع الزهور في وقائع الدهور ، ط . دار المعارف بالقاهرة ، ج ٤ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٢) De Barros, Decadas (Dec. III., I k. i. ch. 3, quoted by Mansel Longworth Dames, (The Book of Duarte Barbosa, Vol. pp. 48 - 50 n).

(٣) ابن أياس ، ج ٤ ص ٢٠١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٦٥ ؛ ٤٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ص ٣٦٥ .

(٧) المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

« نحو اربعمائة ألف دينار وكسور »[1] بالاضافة إلى الامدادات التي جاءته من بايزيد . وقد عهد الغوري إلى الرئيس سليمان قيادةذلك الاسطول ، فخرج وجنوده من القاهرة في ١٠ رجب سنة ٩٢١ هـ ، ١٥١٥ م ، وكان الاسطول مؤلفاً من ٢٠ مركباً . وقد أبحر إلى جدة للانضمام إلى الأمير حسين الكردي الذي كان قد سبقه اليها في ١٣ جمادى الاخرى سنة ٩١٩ هـ ، ١٥١٣ م . وليس من غرضنا أن نتتبع أثر الحملة بعد أن ابحرت من السويس ، ويكفي أن نشير إلى انها انحرفت عن غايتها الأولى ، وهي التصدي لمقاومة البرتغاليين في المحيط الهندي ، إلى محاربة اليمنيين .

استغرقت هذه الأحداث فترة من الزمن تمتد من سنة ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م الى ٩٢١ هـ ، ١٥١٥ م . أي أكثر من عشر سنوات . فكيف عالجها النهروالي ؟ لنستمع اليه :

« ... فجهز السلطان (قانصوه) من كبار مقدميه الأمير حسين الكردي ، وأصحبه طائفة كبيرة من اللوند ، كبيرهم سليمان الريس ، وحجز لهم عمارة عظيمة ، وأغربة نحو الخمسين ، بمدافع كبيرة ، وضربزانات وولاه نيابة جدة ، وعظم شأنه . وكان مقداما شجاعا فاتكا ، كثير الظلم ، شديد السياسة . فأول ما جاء بنى على جدة سوراً محيطاً بها في عام سبع عشر وتسعماية ، حمل فيها التجار التراب والأحجار ، وهدم ما أراد من بيوت المسلمين ، وغصبها وأدخلها في البناء ، ووضع بعض التجار في وسط البناء ليبني عليه ، فخلص نفسه بمال كثير ، بعد الشفاعة فيه ...

« ولما فرغ الأمير حسين من بناء سور جدة ، توجه بأغربته الى الهند ، ودخل « الديو » ، واجتمع بالسلطان مظفر شاه ، وحصل منه امداد كبير غير أن الفرنج ارتفعوا الى كوّة (جوّة) ، وما أمكن الأمير حسين أن يستمر في الهند ، فعاد من غير عمل ، فوصل الى بندر كمران[2] ، ومعه

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

(٢) وهذه أخرى من تخليطات النهروالي . فان احتلال المصريين لكمران لم يقع بعد عودة حسين الكردي من الهند (حوالي سنة ٩١٥ هـ) أو بعد سنة ٩١٧ هـ كما يزعم النهروالي ، وإنما في بدء قيام الحملة المصرية الثانية ، وعلى التحديد في ١٧ ذي القعدة سنة ٩٢١ هـ . وفي هذه الحملة لم يذهب حسين الكردي إلى الهند .

العدد والآلات ، وكثير من عسكر اللوند ومنهم الأمير سليمان الريس ، وكان فاتكا شجاعاً ، ذا معرفة بالحروب ، خصوصاً بالمدافع والبنادق ». [1]

وأحسبني لست في حاجة بعد كل هذا الى تفصيل ما في حديث النهروالي عن تلك الأحداث من تخليط وتخبيط ، حتى ليصح فيه قول العامة : « من معرفته بالصحابة صلى على عنتر » ، فذلك أوضح من أن يحتاج إلى بيان .

اسطورة النهروالي :

ذلك هو النهروالي ، وهذه أسطورته :

« وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول الفرتقال اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، الى ديار الهند . وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ، ويلجون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من جبال « القمر » ، بضم القاف وسكون الميم ، جمع أقمر ، أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق ، أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات [2] ، في مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد . واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلص منهم غراب الى الهند . فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له « الملندي » [3] وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم ، لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في كوه من بلاد الدكن قلعة يسمونها « كوتا » ، ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هنالك ، وصارت الامدادات تترادف عليهم من

---

(١) البرق اليماني ص ٢٠ .

(٢) كيف يكون مضيقاً وأحد جانبيه بحر ؟

(٣) Almirante نائب أمير البحر .

البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كـــثر ضررهم على المسلمين ، وعم آذاهم على المسافرين . »[1]

مناقشة اسطورة النهروالي :

وبغض النظر عمـــا في هذه الأسطورة من خلط وتشويش واضطراب ، وأخطاء تاريخية وجغرافية ، فانها لا تزعم ان أحمد بن ماجد هو الذي قاد البرتغاليين إلى الهند . بل انها على النقيض من ذلك تؤكد أن وصولهم اليهـا قد تم دون معونة من أحد ، وهو ما لا يتفق مع الواقع التاريخي . كما تؤكد ان ابن ماجـــد لم يلتق بـ « الملندى » إلا بعد أن « خلص منهم [من البرتغاليين] غراب إلى الهند » واستمروا يترددون عليها . وان كل ما عمله أحمد بن ماجد ، هو انه ، بعد رجوع « الملندي » من الهند ، « علمه الطريق وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج » .

وأعتقد ، والله أعلم ، أن الأستاذ نجاتي صدقي ، كان محقاً كل الحق ، حينما قرر « إن الوصف الذي ورد على لسان المؤرخ العربي النهروالي ، ينطبق على رحلة دياز ، وليس على رحلة فاسكودي جاما »[2] ولا نعني بهذا ان كبير الفرنجة الذي صاحبه أحمد بن ماجد وعلمه الطريق في حال سكره ، كما يزعم النهروالي ، هو دياز ، وليس فاسكو دي جاما . فان ابن ماجد لم يجتمع بأي منهما ، ولا بأي برتغالي آخر ، وخاصة في التاريخ الذي تمت فيه زيارتاهما . وإنما نعني أن ذلك الوصف ، بغض النظر عن مصدره وتاريخه ، أقرب انطباقاً على رحلة دياز ، منه على رحلة دي جاما ، لأن منطقة رأس الرجاء الصالح ، هي المنطقة الوحيدة على الطريق فيما بين البرتغال والهند ،

---

(١) البرق اليماني ص ١٩ .

(٢) عبد الله الماجد ، العرب س ٣ ، ص ٧٠ ، عن الأديب عدد أبريل ١٩٦٨ ص ٣٠– ٣٢ – لم يسعفني الحظ بالاطلاع على مقـال الأستاذ نجاتي صدقي ، ولم استطع الحصول على نسخة منه في دبي حينما شرعت في كتابة هذا المقال .

التي يستلزم الوصول اليهـــا ، اتباع تلك النصيحة : « لا تقربوا الساحل في ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج » . فليس صحيحاً أن برثلميو دياز « نجح في اجتيـــاز رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح) في ديسمبر ١٤٨٨ م ، مستعيناً طول الوقت بالملاحة الساحلية »[١]، وليس صحيحاً ، ان أي ربان ماهر ، يستطيع أن يدور حول هذه الرأس ، محتضناً الساحل طول الوقت »[٢] . أو على الأقل لم يكن الوضع في رأس الرجاء الصالح بهذه الصفة حينما بـــدأ البرتغاليون يترددون عليه . فعندما أصبح دياز على مقربة من نهر البرتغال Orange River أثناء محاولته الوصول إلى طرف القارة الجنوبي ، عاكسته التيارات والرياح المضادة مدة خمسة أيام كان يجاوش [٣] خلالها دون جدوى ، ثم طوحت به الرياح جنوباً مدة ثلاثة عشر يوماً متوالية لم ير البر خلالها ، حتى تغيرت حرارة الجو ، وأخذ البرد يشتد كلما تقدموا نحو الجنوب ولما هدأت الرياح ، اتجه نحو الشرق ، وكان يعتقد انه ما يزال بمحاذاة الساحل الافريقي الغربي ، ولكنه لما لم ير البر بعد مدة ، اتجه شمالاً ، فجاء إلى ما عرف بعد ذلك بخليج اللحم Flesh Bay في جنوب القارة الافريقية ويقع الى الشرق من رأس الرجاء الصالح ، ثم واصل مسيره شرقاً إلى ان بلغ ما سمي بنهر السمك الكبير Great Fish River فجار بحارته بالشكوى وأجبروه على الرجوع . وأثنـاء عودته إلى الغرب ، جاء إلى رأس الرجاء الصالح الذي كان قد تجاوزه من قبل دون أن يراه حينما طوحت به الرياح .

---

(١) الدكتور عبد العليم ، الفوائد .. ، العرب س ٤ ، ص ٨٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٣٩ .

(٣) جاوش ، يجاوش ، مجاوشة . من الاصطلاحات البحرية في الخليج : يعني التحايل على الريح . فمثلاً إذا كان هدف سفينة ما في مهب الرياح ، فانها تجاوش حتى تصل إلى غايتها ، أي تتحايل على الرياح بالانحراف إلى اليمين أو إلى الشمال ، والتوغل في البحر ، ثم العودة إلى الجهة التي بدأت فيها انحرافها ، مع انحراف نحو الجهة المضادة لانحرافها السابق ، مشكلة بذلك مـــا يشبه المثلث ، حتى إذا أصبحت محاذية لنقطة انحرافهـــا الأول ، أصبح هدفها خلف ظهرها ، فتتجه اليه ، وتكون الرياح عندئذ وراءها ، بدلاً من أن تكون في وجهها . ويمكن ترجمتها ترجمة دقيقة إلى الانجليزية بكلمة Tack .

أمّا فاسكو دي جاما ، فقد أفاد من تجارب دياز ، فلم يحاول الاقتراب من البر أثناء رحلته إلى رأس الرجاء الصالح ، وانما أبحر رأساً من البرتغال إلى جزائر الرأس الأخضر Gape Verde Islands ومنها اتخذ لنفسه طريقاً في وسط المحيط الأطلسي ما بين جزيرة اسنشن Ascension Island والبرازيل، تجنباً للرياح العنيفة عند السواحل الأفريقية . ولما ظن انه اصبح بمحاذاة رأس الرجاء الصالح ، بعد سفر استغرق ثلاثة أشهر لم ير البر خلالها ، اتجه نحو الشرق ، ولكنه أخطأ التقدير ، فقصر عن بلوغ هدفه بمسافة غير كبيرة نسبياً . وعندما اقترب من البر ، تعرض لعاصفة شديدة ، أشرف من جرائها على الغرق . فتذمر رجاله ، وطالبوه بالعودة إلى البرتغال ، ولكنه أصر على مواصلة السفر ، وهدد كل من يتحدث عن العودة بالقائه في البحر ؛ فتآمر بعض بحارته على التمرد والقاء القبض على قادتهم وسجنهم ، والعودة بالسفن إلى البرتغال ، غير أن أحد المتآمرين وشى بزملائه ، فألقى دي جاما القبض على قادة المتآمرين وسجنهم . وأخيراً ، وبعد جهود مضنية ، استطاع الوصول إلى رأس الرجاء الصالح . ومع ان المسافة بينه وبين نهر البرتغال ، لا تزيد على ثلاثة وثلاثين فرسخاً ، فقد استغرق اجتيازها اسبوعاً كاملاً ، من ١٦ إلى ٢٢ نوفمبر .

ثم جاء بعده بيدرو الفارس كبرال Pedro Alvarez Cabral وكان معه عدد من القادة المجربين من ضمنهم برثلميو دياز، مكتشف رأس الرجاء الصالح، وكثيرون ممن رافقوه ، أو رافقوا دي جاما . وحاول كبرال أن يستفيد من تجارب سلفيه ، دياز ودي جاما ، فأبحر رأساً إلى جزر الرأس الأخضر ، ومن ثم اتخذ الطريق التي اتخذها قبله دي جاما ، وسط المحيط الأطلسي . ولكنه بالغ في التطرف نحو الغرب ، فاكتشف ساحل البرازيل عن غير قصد . ثم اتجه رأساً إلى رأس الرجاء الصالح ، فلما اقترب منه صادفته عواصف هوجاء ، أغرقت أربعاً من سفنه ، وكان برثليمو دياز نفسه من بين الغرقى .

تلك هي طبيعة الأنواء في رأس الرجاء الصالح ، كما وجدها رواد

الكشوف الاستعمارية البرتغاليون ، ولا ادري إذا كانت تغيرت الآن ،فأصبح أي ربان ماهر يستطيع أن يدور حول هذه الرأس ، محتضناً الساحل طول الوقت ، أم لا ؟ .

ولكن ماذا يعني صاحب تلك النصيحة ، كائناً من كان بـ « الساحل من ذلك المكان » ؟ .

إذا كان يعني به الساحل الافريقي الغربي ، أو أي جزء منه ، أو رأس الرجاء الصالح ، فقد جاءت نصيحته متأخرة جداً . لأن فاسكودي جاما ، كان على علم تام بها قبل سماعها منه ، وقد سبق أن طبقها عملياً ، كما رأينا ، تطبيقاً كاملاً ، عن وعي وإدراك ، فلم يقترب من الساحل إلا في المرحلة الأخيرة لخطأ في التقدير . ومع ذلك فحتى تلك المسافة القصيرة التي بقي عليه أن يقطعها حتى يصل إلى رأس الرجاء الصالح ، لم يحاول اجتيازها عن طريق الملاحة الساحلية ، وإنما كان يخرج إلى عرض البحر أولاً ، ثم يقوم بمحاولاته لاجتيازها . وقد فعل ذلك مرة بعد اخرى . وعلى الرغم من فشله المتكرر في محاولاته الأولى ، فانه لم يجرب الملاحة الساحلية لقطع تلك المسافة .

وإذا كان يعني بـ « الساحل من ذلك المكان » ، السواحل الافريقية الشرقية ، فان الوصول إلى أي من موانئها في الاحوال العادية ، لا يستلزم الابتعاد عن الشاطيء ، واتخاذ مثل تلك الأجراءات التي يوصى بها . وقد جرب فاسكودي جاما ذلك بنفسه .

أما اذا كان يعني به الطريق من ملندى إلى كليكوت ، فهناك ثمة طريقان طريق ساحلي ، يساير السواحل الافريقية إلى رأس حافون ، بل إلى باب المندب ، ومنه إلى عدن ، ثم يسير محاذياً لسواحل الجزيرة العربية إلى رأس الحد ، وينعطف شمالاً إلى رؤوس الجبال عند مضيق هرمز ، فيعبر البحر إلى الضفة الشمالية من المضيق ، وينعطف شرقاً فيساير السواحل الفارسية فالمكرانية ، حتى سواحل السند الشمالية . أما إذا كان هدف الرحلة في جنوب الهند ، كما كان الامر بالنسبة لفاسكودي جاما ، فيجب ان يواصل

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٨ -

من الدوادمي إلى عفيف : قال الأستاذ الخميس : ونمضي في طريقنا تعلو بنا ربوة الشُّرَيْف لنكون منها في الذروة عندما تحف جبـلي البيضتين . والواقع أن الصحراء التي تحف بجبال (البيضتين) من ناحية الجنوب لا تعدو أن تكون شرفة تمثل حافة الصحراء الجبلية التي تحف ببلدة (الدوادمي)من الغرب ، وينفذ الطريق من الدوادمي عبر هذه الصحراء في انخفاض وارتفاع حتى يحاذي (البيضتين) على بعد (١٢) كيلاً من مدينة (الدوادمي) ثم ينحدر في سهل منخفض لـيّن يمتد بانحداره حتى يحاذي أطراف (فرائد أبي

سيره فيقطع السواحل الهندية الغربية من الشمال إلى الجنوب . ومن الممكن اختزال هذا الطريق بعض الشيء ، بالانتقـال من رأس حافون إلى جزيرة سقطرة ، ومنها إلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم من رأس الحد إلى سواحـل السند . وهذا الطريق في حالتيه شاق وطويـل ولا تسلكه في العادة حتى السفن المتجهة إلى شمـال الهند . ولكن السفر فيه لا يستلزم الابتعاد عن الساحل والايغال في البحر . وقد شاهدت في جنوب الجزيرة اعداداً غـير يسيرة من السفن ، على مقربة من الساحل ، وهي في طريقها من البحر الاحمر ومن افريقية الشرقية ، إلى الخليج العربي .

أما الطريق الاخرى ، فتتجه من ملندي رأساً ، عبر المحيط ، إلى الميناء الهندية المعنية . ولكن ليس ما يدعو إلى تطبيق تلك النصيحة : « لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ،ثم عودوا ،فلا تنالكم الأمواج » بالنسبة اليها . والأرجح ان النهروالي ترامت اليه اصداء بعيـدة مشوشة ومختلطة عن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي فاستغلها ، دون تمحيص، في تلفيق هذه الحكاية السخيفة ، للتشهير بأحمد بن ماجد ، لغاية في نفسه .

(للبحث صلة)　　　　**علي التاجر**

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٨ -

من الدوادمي إلى عفيف : قال الأستاذ الخميس : ونمضي في طريقنا تعلو بنا ربوة الشُّريَف لنكون منها في الذروة عندما تحف جبلي البيضتين . والواقع أن الصحراء التي تحف بجبال (البيضتين) من ناحية الجنوب لا تعدو أن تكون شرفة تمثل حافة الصحراء الجبلية التي تحف ببلدة (الدوادمي)من الغرب ، وينفذ الطريق من الدوادمي عبر هذه الصحراء في انخفاض وارتفاع حتى يحاذي (البيضتين) على بعد (١٢) كيلاً من مدينة (الدوادمي) ثم ينحدر في سهل منخفض ليّن يمتد بانحداره حتى يحاذي أطراف (فرائد أبي

سيره فيقطع السواحل الهندية الغربية من الشمال إلى الجنوب . ومن الممكن اختزال هذا الطريق بعض الشيء ، بالانتقال من رأس حافون إلى جزيرة سقطرة ، ومنها إلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم من رأس الحد إلى سواحل السند . وهذا الطريق في حالتيه شاق وطويل ولا تسلكه في العادة حتى السفن المتجهة إلى شمال الهند . ولكن السفر فيه لا يستلزم الابتعاد عن الساحل والايغال في البحر . وقد شاهدت في جنوب الجزيرة اعداداً غير يسيرة من السفن ، على مقربة من الساحل ، وهي في طريقها من البحر الاحمر ومن افريقية الشرقية ، إلى الخليج العربي .

أما الطريق الاخرى ، فتتجه من ملندي رأساً ، عبر المحيط ، إلى الميناء الهندية المعنية . ولكن ليس ما يدعو إلى تطبيق تلك النصيحة : « لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ،ثم عودوا ،فلا تنالكم الأمواج » بالنسبة اليها . والأرجح ان النهروالي ترامت اليه اصداء بعيدة مشوشة ومختلطة عن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي فاستغلها ، دون تمحيص، في تلفيق هذه الحكاية السخيفة ، للتشهير بأحمد بن ماجد ، لغاية في نفسه .

(للبحث صلة)　　　　**علي التاجر**

دخَن) الشمالية . على بعد (٣٠) كيلا من الدوادمي ، وقد ذكر الاستاذ أن الصحراء المحاذية (للبيضتين) هي الذَّرْوُ من الشريف ، وسبق أن تحدثت عن الشريف حديثاً شاملا وذكرت عبارة الهجري تفيد أن ذَرْو الشّريف هو ما بين ثهلان وبين سَوْد شمام ، وأن هضبة تيْما الوقعة جنوباً من بلدة الشعراء واقعة برأس الذرو من الشريف ، وأنهـا مغرب الشمس من حصن ابن عصام، وتلك الناحية هي التي تعرف في هذا العهد باسم (الشرفة) و (الشُريّفة) على حد تعبير البعض . أما ما جـاء في عبارة الهمداني [1] حيث قال بعد ذكر مياه ثهلان : (وأسفل من ذلك — أي من مياه ثهلان ذرو الشريف وغلانه ومياهه ومن [؟] أيسرها البرقمة وخائع والنشّاش ، ماءان مقابلان لجمران ، الخ ، فالذي يبدو أن قوله : ومن أيسرها ، يقصد به أيسر مياه الشريف ، وليس المقصود به أيسر مياه ذرو الشريف ، بدليل أنه بعد ذكر خائع والنشاش استمر في ذكر مياه الشريف الشرقية على التوالي فذكر تزيد وعُكاشا والخنفس ، ثم أتبعها بذكر مياهه الجنوبية ، فذكر مأسل جاوة وعصيلا وطحيا ، الخ فهـذه العبارة لا تتعارض مع عبارة الهجري في تحديد ذرو الشريف . أما في هذا العهد فإنني لم أسمع أحـداً يسمى منطقة الدوادمي بهذا الاسم (الشريف) .

قال الاستاذ الخميس : ومن هذه الربوة تبرز أمامنـا الأعلام ، وتتداح الأرض ، ونشاهد أعلام الجبال ذات الشهرة والمكانة في أشعار العرب وأيامهم وأخبارهم ، نشاهد منهـا (أبو جرادِ) و (السّمْنيَ) و (البيضتين) ، و (النشاش) و (جمران) و (جَبلة) و (الرشاوية) و (الشعيفية) و (وخَنْنُوقة) و (النضادية) ، و (ذُريع) و (شطب) و (ثهلان) و (أبو دخن) و (الحِذنة) و (الجملان) و (المصلوخة) .

ذكر الأستاذ الخميس من بين الأعلام التي ترى من جانب (البيضتين)جبل (جمران) و (النشاش) ، والواقع أن هذين العلمـين لا يريان من هذا المـكان ، لأن مرتفعـات (السّمنات) و (الخويبيـات) وحُشَش

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص (١٤٧) .

(برقا) و (السّدريات) تحول دون رؤيتها ، وقد أغفل ذكر بعض الأعلام التي ترى من هذه الناحية ، والواقع أن الأعلام التي ترى بالبصر من هذه الجهة هي كالآتي : ونذكرها على التوالي ، ونبدأ بما يقع منهـا شمالاً من الطريق : (البيضتان) (السمنات) (الخويبيات) (أبو جراد) (جبلة) (ضليعات أفقرى) ، (هضاب الشميفية) و (شهباء خنوقة) أما مـا يقع جنوباً من الطريق ، فهي : (الجملان)(أم المشاعيب) (الرُّدَيهات) (المصلوخة) (القرنيّات) (الخُذُنــة) (هضيبة الضلع) (ثهلان) و (تــيما) (أبو دخن) (فرايد أبو دخن) (شطب) القُنينة (قنينة الصباح) (ذُريّع) (النضّادية) (حمّة ذريّع) وسنتحدث عن هذه المواضع ، ونصفها وصفاً جغرافياً ونذكر ما حولها من القرى والمياه ، أمـا البيضتان ، والسمنات ، والخويبيات ، فقد سبق أن تحدثنا عنها ووصفنا معالمها ، كما سبق الحديث عن (جمران) و (النشاش) ، وهجرة (مُصدِّة) .

أبو جراد : قال الأستاذ الخميس : أما (أبو جراد) فقرن جبل أحمر منفرد كأنه مخروط هرمي ، يرى برأسه مثل الأنف ، نراه بعدما ننكب (البيضتين) يميناً ليس ببعيد عن الطريق ، والواقع أن الوصف الجغرافي لهذا العلم ، هو كما ذكره ، ويبعد عن الطريق مسافة (١٠) أكيال شمالاً ، وهـو واقع شمالاً غربياً من جبال (البيضتين) وفي ناحيته الغربية هجرة (الملينيّة) قرية صغيرة لقبيلة الملانية من العصمة ، وقد أهمل الأستاذ الخميس ذكر هذه القرية كعادته ، كما أهمل ذكر قرى وادي الرشا وهجر جهام والشعيفيّة ، وأورد شواهد عند ذكر جراد ولم يشر إلى مصادرها ، كعادته في عدم ذكر كثير من مصادر البحث ، وعدم ذكر الجزء والصفحة فيما يذكره من مصادر ، ويبدو أنه نقل من « معجم البلدان » لياقوت ، وذكر أنه لا يستطيع تميز المراد من الشواهد التي أوردها ، أهو أبو جراد ، الجبل الذي نتحدث عنه ، أم هو (جراد) الرمل المعروف حالياً (بنفود السر) وسنورد ما ذكره أصحاب المعاجم عن الموضعين ونحاول التميز بينهما .

جراد : قال ياقوت[1] : جُرَاد بالضم ، بوزن غراب : ماء في ديار بني

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٦ – ١١٧ .

تميم عند المرّوت ، كانت به وقعة الكُلاب الثانية ، وقال جرير :

ولقد عركنَ بآل كعب عركة بلوى جراد ، فلم يدعن عميدا
إلا قتيلا قد سَلبنا بزّهُ تقع النسور عليه أو مصفودا

وفي الحديث أن حصين بن مُشمّت وفد على النبي ﷺ ، فبايعه بيعة الإسلام وصدّق إليه ماله ، فأقطعه النبي ﷺ مياهاً عدة منها : جُراد ، ومنها السُّدَيرة ، والثّماد ، والأصَيْهِب ، وقال نصر : جراد رملة عريضة بين البصرة واليمامة ، بين حائل والمروت ، في ديار بني تميم ، وهذه العبارات التي ذكرها تفيد أن جرادا موضع من ناحية المروت ، وبعضها يفيد أنه ماء ولكن البعض الآخر يفيد أنه رمل ، وأنه الناحية الجنوبية من نفود السّر ، وفي أبيات جرير التي أوردها ياقوت قال : بلوى جراد ، وهذه الجملة تفيد أن جراداً رملة . وقال الحسن الإصفهاني [١] : (وحائل بين رملتين جراد والأطهار ، وقال أيضاً [٢] : ثم في رملة يقال لها جراد ، من ناحية اليمامة ، ماءة يقال لها الرّباء ، لبني عبد الله بن بكر بن سعد بن ضبة ، وقال أيضاً [٣] : فإذا جزت أهوى فمن ورائها مويهة يقال لها الأسودة ، من شاء وردها ، ثم تجوز فتعبر رملة يقال لها جراد ، وهي رملة عظيمة ، فإذا جزت جراد في مكان من حائل يقاله الهلباء ، وحائل فلاة واسعة فيها لقشير وباهلة ونمير ، وغيرهم) . فهذه العبارات التي أوردها الأصفهاني ، واضحة الدلالة على تحديد رملة جراد ، وأنها المعروفة في هذا العهد باسم (نفود السّر) .

وقال أبو علي الهجري [٤] : (وتتصل بعرجة الحُلة ويخرج منهـا إلى السرّ ، ثم من السّر إلى جراد ، وهي رملة من شق الوركة ثم تقع في المروت ، ثم في قرى الوشم) وتفيد هذه العبارة أن مسمى (جراد) يشمل رملة السّر . وقال الهمداني [٥] : (وجراد بناحية اليمامة ، وفيه يقول مالك بن حريم الهمداني في غزاة غزاها إليه :

---

(١) بلاد العرب ، ص (٢٤٣) .
(٢) بلاد العرب ، ص (٢٨٨) .
(٣) بلاد العرب ، ص (٣٦٦ - ٣٦٧) .
(٤) أبحاث الهجري ، ص (٢٣٤) .
(٥) صفة جزيرة العرب ، ص (١٧٠) .

وحيّ زبيد يوم حابس قتّلوا ويوم بني سعد شفيت غليلي
وخثعم أرويت القنا من دمائها بشفّان حتى سال كل مسيل
وحيّ تميم إذ لقينا وسعدها برمل جُراد أهلكوا بذحول

وقال أيضاً [1] : (بطن حائل ، وهو بلد مثل يَد المصافح ، يرى فيه الراكب من مسافة نصف يوم في وسط رميلة يقال لها رملة الأطهار ، وفي أعلاه سوفتين ويحفه رمل جراد ، وهو منقطع ، وحده بين المروت وبين جراد) . ويتضح أيضاً من عبارات الهمداني وشواهده أن جراداً هي رملة (نفود السر) ، وسبق أن ناقشت هذه العبارات التي أوردتها من كتاب « بلاد العرب » وكتاب « صفة جزيرة العرب » ، في بحث حائل والمروت . وقال البكري : جراد بضم أوله ، وبالدال المهملة ، موضع ذو كثبان قال أبو داود :

فإذا ثلاث واثنتان وأربع مشي الهجان على كثيب جراد

وقال آخر : أقول لناقتي عجْلي وحنّت إلى الوَقبى ونحن على جراد

وكان لهمدان يوم على ربيعة بجراد ، وقال شاعرهم :

ويوم جراد لم ندع لربيعة وأخواتها أنفالهم غير أجدعا

هذه الأقوال والشواهد كلها خاصة (بجراد) الذي هو رملة (السرّ) في هذا العهد .

ابو جراد : أما ما يختص بجراد – الجبل – قال ياقوت [2] : وسألت أعرابياً آخر : كيف تركت جراداً ؟ فقال : تركته كأنه نعامة جاثمة ، يعني من الخضب والعشب ، قال ابن مقبل :

للمازنية مصطاف ومرتبع مما رأت أود فالمقراة فالجرعُ
منها بنعف جُراد والقبائض من وادي جُفاف مرا دُنْيا ومستمع

أراد مرأى دنيا فخفف الهمزة ، وقال في « القاموس » : جراد ، موضع وجبل ، وقال صاحب « التاج » : قيل سمي الموضع بالجبل ، وقيل

(١) معجم ما استعجم ج ٢ ص (٣٧٣) .
(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٧ .

بالعكس ، وقيل هما متباعدان ، منه قول بعض العرب : تركت جراداً كأنهـــا نعامة باركة ، أي كثير العشب ، هكذا أورده الميداني وغيره . وقد أفاد صاحب القاموس وشارحه أن اسم (جراد) يطلق على موضع وجبل ، والوصف الذي ذكره ياقوت عن الأعرابي وذكره صاحب « التاج » عن الميداني ، ينطبق على جبل (أبو جراد) إذا جادت السماء بالغيث ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، وحفّت الأزهار بالروابي من حوله ، في حين أن هذا الوصف لا ينطبق في أي حال على رمال النفود الواسعة .

وبهذا نكون قد ميزنا بين ما ورد في ذكر (جراد) الجبل و (جراد) الرملة من الأقوال والشواهد .

قال الأستاذ الخميس : (الجعلان) جبيلات سود متناوحة ينحدر سيلها على وادي الدوادمي . والواقع أن هذه الجبيلات تتخللها أودية ، وهي على شبه أكوام سود ، بعضها حول بعض ، وهي التي أشار إليها الشيخ محمد بن بليهد بقوله :

من جَوّ (داورد) هو يعرف مصادره
والحَيْد الأسْمر يذبّ خشوم قِصّارهْ

فالجعلان ، هي الحيد الأسمر ، وطريق القوافل القديم بين الشعراء والدوادمي ينفذ من ناحيتها الشمالية ، وفي أطراف هذه الجبال الشمالية يبدو جبل أسود بارز في مقدمتها يسمى (عبد الجعلان) . وقد ذكر الخميس أن سيلها ينحدر على وادي الدوادمي ، والواقع أن سيل جوانبها الشرقية ينحدر على وادي الدوادمي ، أما سيل ناحيتها الغربية ، وما والاها فينحدر على وادي الشعراء .

قال الأستاذ الخميس : وترى أيضا من هـذا المكان هضبة (المصلوخة) غربي الدوادمي والجعلان ، وهذه الهضبة بها آثار وكتابات وقبور ، فهي وما حولها ، وكل المنطقة أثرية وكلها غنية بالمعادن الكثيرة . والواقع أن هضبة المصلوخة واقعة غرباً من الجعلان كما ذكر وشرقاً من بلد الشعراء ، ترى منها بالبصر ، وهي هضبة حمراء ، غير كبيرة . وسيلها وسيول ما حولها تنحدر

على وادي الشعراء ، وغرباً منها فيما بينهـــا وبين (هُضيبة الضّلع) تقع هضيبة (الصُفيّة) تصغير صفاة ، وهي هضبة شهباء صغيرة لاطئة بالأرض، يمر بها طريق القوافل القديم ، تبعد عن بلد (الشعراء) (١٣) كيلاً تقريباً ، وهي التي ذكرها الشيخ محمد بن بليهد بقوله :

ومنَ الصفيّه نشوف الناس والدِّيرَه   دارٍ سقاها حقوق المزن بامطاره

الحـُذْنِيّ : (حـُذُنـّة) قال الخميس : جبل (الحذني) شرقي ثهلان ، وجنوبي غربي الدوادمي ، يشاهد على بعد ، وكان قديماً يسمّى (حُذُنة) . وهذا التحديد واقعي بالنسبة للدوادمي ولثهلان ، أما بالنسبة لبلدة الشعراء فهو يقع شرقاً جنوبياً ، يرى بالبصر ، وهو قرن أسود فاحم له ظهر ممدّد ، وفي قمته ثلم فيه رِسٌ عذب ، قـــال ياقوت : [١] (الحذُنـّة : بضمتين ، وتشديد النون ، وهو في اللغة اسم الأذن ، وهي اسم أرض لبني عامر بن صعصعة ، قال محرز بن المكعبر الضبّي :

فدى لقومي ما جمّعتُ من نشب   إذ لفّت الحرب أقوامــاً بأقوام
إذ خبرت مذحج عنا وقد كذبت   أن لن يروّع عن أحسابنا حامي
دارتْ رحانا قليلاً ثم صبّحهم   ضرب تصيّح منه جـــلة الهام
ظلت ضِبَاع (مجيرات) يلذن بهم   وألحـــوهنّ منهم أيّ الحام
حتى (حُذُنـّة) لم تترك بها ضبعاً   إلا لهـــا جزر من شلو مقدام
ظلت تدوس بني كعب بكلكلها   وَهَمّ يوم بـــني نهدٍ بإظلام

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر ذكر (مجيرات) وذكـــر (حذنة) وتفيد الأبيات أن هذين الموضعين قريبان من مدار المعركة ، والواقع أن (الحذني) يقع فيما بين (مجيرات) وبين بـــلد (الشعراء) وكلا الجبلين ـ حذنة ومجيرات ـ يرى من بلد الشعراء ، صوب مطلع الشمس .

وقال الهجري[٢]: (والكلاب واد به سدر وطلح، ويجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ، علم أسود به الوحوش عرضه يوم ، به : فلجا (قَـلَـحَى ؟) ،

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص (٢٣٣) .
(٢) أبحاث الهجري ص(٢١٦) .

وذويقن ، والريان ، والرّيا،والأطيّا ، والبريض ، خسف به ماء . وكل ما أسمينا الشريف . حذّنة : هضبة عن الكلاب بميلين ، تدفع في الكلاب) . والواقع أن سيل (الحذني) وما حوله ينحدر في واد كبير ، ويتجه صوب بلد الشعراء ، ويلتقي بوادي الشعراء في ناحية البلد الجنوبية ويسمى هذا الوادي (أبو عشيرة) ، وهو الذي ذكره الشاعر عمر بن ماضي من أهل الشعراء بقوله :

الله على اللي يشوق العين ممشاها   هي منوة اللي تويلي الليل تسري به
ليا رفّعوا للنضا واقتلّت خطاها   خطرٍ على كورها تكسّرْ مصاليبهْ
تسرح من(العَدْل)و(المصلوب)ممساها   أسبق من اللي مْكرّبةٍ لسوَاليبهْ
وتَجْهم وتصبح منشّرة لمفلاهـا   وكل تبجّج بْنخِلانه وأصاحيبه
يا الله من مـزنةٍ تـبرق بمنشاها   تسقي(الرفايّع) وتسقي (الغَمْق) وشْعِيبه
كل تلعة حوّلت تكظّ بِملاها   وأبو عشيرة تقحّمْ من مجـاذيبه

من قصيدة طويلة ، وسنتحدث عن الكلاب ورافده حينما نأتي على الحديث عن الشعراء .

القرائن : قال الأستاذ الخميس : وإذا انحدرنا من هذه الربوة وأخذ بنا الطريق في شاطىء (التسرير) الجنوبي الشرقي ــ وادي الرشا كما يسمى الآن ــ فهناك جبلان صغيران نراهما يسارنا بعد أن ننكب (ابو جراد) هذان الجبلان يسميان القرائن نراهما أول ما نراهما يحولان بيننا وبين مرآى جبلي شطب وأبي دخن .. ونجتاز حينئذ وادي دَلْعة . والواقع أن ما جاء في هذه العبارة بعيد عن الواقع فيما يخص هضبتين (القرينتين) وكذلك فيما يخص وادي (دلعة) وسنناقش العبارة بشأن هضبتي (القرينتين) ثم نكمل عبارته عن وادي (دلعة) ونتحدث عنها بالتفصيل .

القريّنات : أو (القريّنتين) كما يقول البعض : هضبتان سوداوان متجاورتان ، يعرفان عند عامة أهل هذه الناحية باسم (القرينتين) والبعض يقولون (القرينات) وهذه هي التسمية الشائعة لهاتين الهضبتين المتجاورتين ، ولأمثالها من الهضاب المتجاورة ، ويقعان جنوباً غربياً من (البيضتين)

وشمالاً شرقياً من بلد (الشعراء) تراهما من بلد الشعراء مرتفعتين ، وهما بالنسبة للطريق المعبد يقعان جنوباً منه على بعد (٤ أو ٥) أكيال . قال ياقوت[١]: القرَينتان : هضبتان طويلتان في بلاد بني نمير ، عن أبي زياد .

وقد ذكر الأستاذ ابن خميس أنه يراهما على يساره حين يأخذ به الطريق في شاطىء (التسرير) والواقع أنك تنكب هاتين الهضبتين ، وأنت بعيد عن شاطىء (التسرير) وادي (الرشاء) في هـذا العهد ، بينك وبينه مسافات شاسعة ، ثم قال بعد عبارته السابقة : بعد أن ننكب (أبو جراد) وما دام أنه يراهما على يساره حين ينكب (أبو جراد) فكيف يكون حينئذ في شاطىء (التسرير) .

وذكر الأستاذ الخميس أنه يراهما أول ما يراهما يحولان بينه وبين مرأى جبلي شطب وأبي دخن ، والواقع أنهما لا يحولان دون رؤية جبل أبي دخن أو جبل شطب ، ذلك لأن أبا دخن وشطبا جبال كبيرة عالية ترى من بعد مرتفعة على ما حولها من الجبال ما عدا جبل ثهلان ، ولأن القرينتين أصغر منهما بكثير ، وهما قريبتان من ناحية البيضتين بينهما وبين أبي دخن صحراء فسيحة ، أما شطب الواقع غرباً من أبي دخن فبعيد منهما كل البعد ، فحينما تواكب البيضتين وتبرز أمامك الأعلام تشاهد القرينتين بارزتين على يسار الطريق قريبتين من النظر ، وتبصر وراءهما بعيداً من اليمين (فرائد أبي دخن) ممتدة عن يمينه يحف الطريق من طرفها الشمالي ، ويليهـا من الجنوب جبل (أبي دخن) لازق بها ، وتتطالع أيسر منها وراءها جبل (شطب) جبل كبير أسود عالي ممتد من الشرق إلى الغرب ، شمالي جبـل ثهلان ، لا يحول دون رؤية هـذه الأعلام أي حائل ، وسنمر عليها على التوالي ، في سياق البحث ، ونتحدث عنها .

قال الأستاذ الخميس : ونجتاز حينئذ وادي (دلعة) وهو واد ينحدر من شرقي ثهلان مشملاً ليصب في وادي التسرير ـ الرشا ـ وبهذا الوادي ماءة تسمى باسمه دلعة ، بعده ينشعب طريق (الشعراء) متجهاً جنوبـاً وعلى

---

(١) معجم البلدان ، ج ٤ صفحة ٣٣٧ .

مسافة ما يقرب من سبعة عشر كيلاً ، ثم أورد عبارة للشيخ محمد بن بليهد عند ذكر الرشا ، هـذا نصها : ويصب في ذلك الوادي أي الرشا ، وادي دلعة ، البلد المعروفة لجماعة من الدعاجين ، ورئيس هذه الجماعة ابن عقيّل وهم يقال لهم (ذو وخيوط) ثم يندفع متجهاً جاعلاً جبل (ثهلان) عـن يمينه ، ثم يجتمع بالرشا مع أودية ثهلان .

ومن الملاحظ أن الخميس لم يلاحظ الاختلاف بـين عبارته في تحديد (وادي دلعة) وبين عبارة ابن بليهد فالخميس يرى أن وادي (دلعة) هو الوادي الذي يجتازه الطريق شرقاً من جبل (أبي دخن) شمالاً من جبـل ثهلان ، وابن بليهد يرى والصواب مـا ذكره ـ أن وادي دلعة يصب في وادي الرشا الذي يقع غرباً من (ثهلان) ويترك ثهلان يميناً منه ، ولندع الحديث عن وادي (دلعة) وروافده ومائه ضمن الحديث عن مياه (ثهلان) ونعود إلى الحديث عن الوادي الواقع بين (القرينتين) وبين (أبي دخن) والذي ذكره الخميس باسم (وادي دلعة) .

الواقع أن هذا الوادي يقع شرقاً من فرائد (أبي دخن) وسيله ينحـدر من العبلة الممتدة من جهة فرائد (أبي دخن) الشرقية ويسير صوب الشمال ، تاركاً فرائد (أبي دخن) غربياً منه ، وليس له اسم قـديم يعرف به ، لأنه من الروافد الفرعية التي لم تشتهر بأسماء ، ويلتقي بعد تحدُّره برجلة أبي دخن التي تغيض في الرشا (التسرير) قديماً ، أما في هذا العهد فإنه يسمى شعب الهواوية ، وذلك أن رجلاً من الروقة يسمى الهواوي اكتشف في أسفله بئراً جاهلية عذبة المياه فاحتفرها ، وسميت (الهواوية) نسبة إليـه وهي تقع شمالاً من الطريق المعبّد .

الشعراء : قـال الأستاذ الخميس : و (الشعراء) بلدة قديمة ذات زرع ومدر ، تقع تحت (ثهلان) شرقيـه ، حدّدها شاعر شعبي له حبيبة بها فقال :

الصاحب اللّي جرّح القلب تجْريحْ   تجْريح سيلٍ في عسير المحـاني
الصاحب اللّي تحت هاك اللحاليـح   يكسر عليه العصر فيّ ذهلانِ

والواقع أن بلدة (الشعراء) هي كما ذكر قرية قديمة ولا تزال عامرة بالسكان ، واقعة في جانب جبل ثهلان من ناحية الشرق ، تطل عليها أعظم قمة من ذلك الجبل فيفيء عليها ظله بعد العصر .

أما البيتان اللذان أوردهما شاهداً فهما من قصيدة للشاعر الشعبي عبد الله اللوح ، وهي كالآتي :

عز الله إني واله القلب ومْريـح   لَيْن اعترضْ لي بالهوى مُودِماني
الصاحب اللّي جَرّحَ القلب تجريح   تجريح سيل في عروض المحاني
لولا الحيا لطَوّحَ الصوت واصيح   على عشيرٍ عنه شطْني نحاني
لا واعشيري قدّ هاك اللحاليح   يكسر عليه العصر فيّ ذهلانِ
سقى دْياره مُرزمات المراويح   آمين يا للّي ترزق المودماني

وقد وردت في ديوان اللوح المطبوع بهذه الرواية ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الشّعْراء ، وكثيراً ما يأتي ذكرها مقروناً بذكر جبل ثهلان ، قال شاعر من أهالي الشعراء :

إذا مررتم على ثهلان فانتشِدوا   حيُّوا البقاعَ وحيُّوا السهل والجبلا
ألقوا السلام على الشّعْرا وساكنها   لا زال ربي يحمي ذلك الطللا

وقال الشيخ محمد بن بليهد — رحمه الله — (١) :

عسى السحابَ اللّي ورا النّير له ضُوحْ   لا رَنّ رعّاده وهبّتْ له الريح
يمطر على دارٍ محاذٍ لها صُوح   غربٍ وهي شرقٍ عن أم المراويح(٢)
يا ما وقف في جالها كل ممدوحْ   مِدْهال سَمْحينَ الوُجيه المفاليح
بواد إلى سالت مغانيه له نوُحْ   بالعشب والقيصوم والرمث والشيح
يرعاه فيما فات ثبتان وطلوحْ   وبَرقا متيّهة البكار المواضيح

وقال سعد بن حمد بن ضويّان من أهالي الشعراء ، وقد انتقل منها وزرع في (القُرّين) الواقع غربي (جبلة) والذي أصبح في هذا العهد هجرة

---

(١) ابتسامات الايام ص (٣٠٨) .

(٢) أم المراويح : واد يقع في ناحية ثهلان غرباً من الشعراء .

لقبيلة الدّلابحة ، وقد طلع هضبة جبلة للقنص ، ومن رأس جبلة بداله جبل ثهلان ، وهو مطلٌ على بلدة الشعراء :

عدّيت في ضلـــع كثير الحجارهْ ... في مَرْقب مدْهال دُغمَ الخَشوم
يا قصر ياللي شفتْ حِليـا سماره ... في ظـلّ مَلوم برأسه رْجوم
يا زين فيـه الصّيد تلعب جفاره ... ومرَبْضاتٍ دونهـــن القَحوم
يا زين صوت المِلح عَجْلٍ مِثاره ... واقفنَ عجلاتٍ تقل خَيل روم
أطربْ لزعج الدم زين انتشاره ... جاله على خطو الصفايح رْشوم
طردِه ولَـعْ والاّ ان ما به تجارهْ ... الله يلوم اللّـي لحـــالي يلوم

وقال محمد بن سعد الحمقي ، شاعر من أهل الشعراء وقد انتقل منها :

أحبّ نجد وخاطري منه مشتان ... مِشفٍ على شوفة جباله وَخدّه
شفـّي على شوفة مراقيب ثهلان ... وارجومه اللّـي مثل روس الأشده
شفـّي على شوفه ومن فيه سكان ... حضره وبَدو نازلـــين بمَهَدّه
ما أقبل به التسرير لأطراف كبشان ... وما حَدّه عَرْوى على المستجدّه
زينَ التَمشّي فيه من غبّ ودّان ... هَواً عَذِيّ ورقـّـــة بجْرِهدّه

إلى غير ذلك من الأشعار التي لا حصر لها ، ومن ذلك مـا قاله فيحان الرقّاص الحافي الروقي ، وقد كسرت رجله في إحدى المعارك ، فنقل إلى (الشعراء) كسيراً ، وفيها جبرت رجله وأقام فيها فترة طويلة حتى برئت رجله ، وقد احتفى به أهل الشعراء وأكرموه مدة إقامته فيها :

يقول حافي مولـّع وميـــلاعْ ... لاعه من الدنيا تعوسْ وغرابيل
منه اليقين وخزْنة القلب تنلاع ... كما يلوع الهيف لدن السنابيل
ومصونعة من ضيقة الصدر صوناع ... صوناع قول عقال من يبدع القيل
يا راكب اربع رُبْع من عقب مرباع ... أربع سنين مربّعات وهن حِيل
عوصٍ عصاومع العصاعوص وأطواع ... شعل شِمَعليّات رمل مرامِيل
فج مناكبهن عَـن حَسّ الاكواع ... يعرَج بهِنّ ليـا عَطنّ الدواهيل
ما فوقهن إلا الجواعد والانطاع ... وعيال في سود الغداري دواليل
تقلـّلَن من ديرة المـدّ والصاع ... دار سميحه مَير أهلهـــا مشاكيل

وليا ركبتوا تَخلّوا الهجن زوماع　　سجّوا ولجّوا والركايب زرافيل
لهن عقب العصر بغشاةٍ مِنشاع　　منشاع مَرميّات خطو المغازيل
والدرب من بين العرايس ليا تاع　　وعصير تيمٍ الخنفسيّه مخاليـــل
عدّوا فريدة شعر حيث انه اسناع　　وإن ما كفاكم شوف مِدّوا درابيل

وقصد بقوله (دارٍ شحيحة) بلدة الشعراء ، أي أن مصادر الرزق فيها ضيقة ولكن أهلها كرام طيبون ، وتشتمل بلدة (الشعراء) في هــذا العهد على مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائيـــة للبنات ومكتب بريدي ، ولها طريق معبد يربط بينها وبين طريق الرياض ـ الحجاز طوله (٢٠) كيلاً ، وموقعها الجغرافي محفوف من ناحية الغرب بمرتفعات جبل (ثهلان) العالية أما من الجهات الأخرى فيحف بها سهل دمث طيب المرعى يمتد فسيحاً صوب الشمال والجنوب وينداح شرقاً إلى صدر (الجعلان) و (المصلوخة) و (أمهات رقبة) و (مُجَيرات) ، وجنوباً منها تشاهد على بعد (٨) أكيال تقريباً قرية (الرفايع) ، وفي وسط جبل ثهلان (على بعد (٨ ـ ٩) أكيال تقع قرى (الشُّبرمية) وهي في واد يفلق جبــل ثهلان من الجنوب إلى الشمال ، وتحف به سلاسل جبال عالية وعلى ضفتيه تمتد النخيل والقصور من بدايته إلى نهاية أطراف الجبــل الشمالية ، ويكثر فيه بقدر ملحوظ شجر الشبرم ، وسكانه من أهل الشعراء ، وهو الذي ذكره الشاعر الشعبي عبد الله بن رمضان بقوله :

عسى شعيب الشبرميّه يغايل　　والسيل يبطي ناقع في حوايله
والسّلع والريّان والضلع كله　　تصافق تلاعه كالبحور متعايله

وسنأتي على ذكر السلع والريان فيما بعد ، وسيل وادي الشبرمية يلتقي بوادي الشعراء جنوباً من خشم (شطب) الشرقي .

وقد ذكرت (الشعراء) في كتب المعاجم القديمة بهذا الاسم ، وأورد الأستاذ الخميس طائفة من أقوال أصحاب المعاجم عند ذكرها .

وتُعرَف (الشعراء) عنـــد المتأخرين أيضاً باسم (الشُّريفة) تصغير (الشُّرفة) نسبة إلى منطقة الشُّريف وقـــد ورد ذلك في الشعر الشعبي

نَمَطٌ من التّحقيق

عُنِيَ المتقدمون من علماء العربية بالتحقيق والتدقيق ، وعُرفوا بالضبط والإفادة حتى تهيأ لهم منهج قويم ، قائم على أسس متينة . ولعلّ عنايتهم بكلام الله العزيز وقراءاته والعمل على ضبط أصولها ، ثم عنايتهم بالحديث الشريف وأسانيده ورُواته ، كل ذلك قد دفعهم إلى أن يأخذوا أنفسهم بالصعب من المسالك ، فيضبطوا ويجيدوا في علومهم المختلفة . ولعل بسبب من ذلك فطنوا إلى « التصحيف والتحريف » وما نتج عنهما في المنثور والمنظوم . وبسبب من ذلك أيضاً دفعوا إلى تدوين « المشتبه » .

لقد اندفعوا في ميدان التأليف فصنفوا وكتبوا ، وصنعوا واختاروا ،

كثيراً ، وسبق أن بحثنا ذلك وذكرنا طائفة من الشواهد عند ذكر (الشريف) .

أما الأعلام التي تشاهدها ببصرك وأنت في (الشعراء) فهي : هضبة (قَنا) وقد مر ذكرها في بحث (الشريف) و (معيقل) وعَبَل معيقل وهو جبل أبيض ، وكلها جنوباً ، ومجيرات و (حذنة) ، و (رُبية) هضبة حمرا تشبه الرئة ، و (أمهات رقبة) هضاب حمر لها رؤوس مرتفعة ، و (الرُدَيهات) ، و (أم الدّيبان) هضبة حمراء صغيرة ، و (المصلوخة) و (الجعلان) و (الصفية) و (الهضيب) ، وكلها شرق ، و (البيضتان) ، و (القرينات) و (أبو جراد) وكلها شمال شرقي ، و (القنينة) جبل أسود ، و (أبو دخن) و (فرائد أبي دخن) وكلها تقع شمالاً ، وترى أحياناً (هضبة جبلة) صوب الشمال ، وقد مضى الحديث عن بعض هذه الأعلام في بحث الشريف والبعض في سياق هذا البحث ، وسنتكلم عن الباقي فيما بعد إن شاء الله ، كما سنتحدث عن جبل ثهلان ومياهه وداراته وأوديته وعقباته فيما يلي .

(للحديث صلة) الدرادمي سعد بن عبد الله بن جُنَيدل

نَمَطٌ من التّحقيق

عُنِيَ المتقدمون من علماء العربية بالتحقيق والتدقيق، وعُرفوا بالضبط والإفادة حتى تهيأ لهم منهج قويم، قائم على أسس متينة. ولعلّ عنايتهم بكلام الله العزيز وقراءاته والعمل على ضبط أصولها، ثم عنايتهم بالحديث الشريف وأسانيده ورُواته، كل ذلك قد دفعهم إلى أن يأخذوا أنفسهم بالصعب من المسالك، فيضبطوا ويجيدوا في علومهم المختلفة. ولعل بسبب من ذلك فطنوا إلى «التصحيف والتحريف» وما نتج عنها في المنثور والمنظوم. وبسبب من ذلك أيضاً دفعوا إلى تدوين «المشتبه».

لقد اندفعوا في ميدان التأليف فصنفوا وكتبوا، وصنعوا واختاروا،

كثيراً، وسبق أن بحثنا ذلك وذكرنا طائفة من الشواهد عند ذكر (الشريف).

أما الأعلام التي تشاهدها ببصرك وأنت في (الشعراء) فهي: هضبة (قَنيا) وقد مر ذكرها في بحث (الشريف) و (معيقل) وعَبَل معيقل وهو جبل أبيض، وكلها جنوباً، ومجيرات و (حذنّة)، و (رُيية) هضبة حمرا تشبه الرئة، و (أمهات رقبة) هضاب حمر لها رؤوس مرتفعة، و (الرُّدَيهات)، و (أم الدّيبان) هضبة حمراء صغيرة، و (المصلوخة) و (الجعلان) و (الصفية) و (الهضيب)، وكلها شرق، و (البيضتان)، و (القرينات) و (أبو جراد) وكلها شمال شرقي، و (القنينة) جبل أسود، و (أبو دخن) و (فرائد أبي دخن) وكلها تقع شمالاً، وترى أحياناً (هضبة جبلة) صوب الشمال، وقد مضى الحديث عن بعض هذه الأعلام في بحث الشريف والبعض في سياق هذا البحث، وسنتكلم عن الباقي فيما بعد إن شاء الله، كما سنتحدث عن جبل ثهلان ومياهه وداراته وأوديته وعقباته فيما يلي.

(للحديث صلة) الدرادمي سَعد بن عَبد الله بن جُنَيدِل

وهم في مجموع ذلك مدققون مقابلون موازنون . كأن تقرأ في مخطوطة قديمة أن صاحبها قد نظر في الأصل الذي صنعه لنفسه فلان ، فجاء فيه كيت وكيت ، ثم نظر في الأصل الذي صنعه آخر فجاء فيه كَيْتَ وكَيْتَ في الموضوع نفسه ، فأخذ من هذا وذاك توخّياً للصحة والضبط .

أريد أن أقول : إن تحقيق النصوص ليس من مبتدعات عصرنا الذي أخذ فيه المؤلفون بالمنهج العلمي . وليس من مبتدعات المستشرقين على إبداعهم وإجادتهم في نشر ذخائر التراث العلمي العربي كما يظن طائفة من شبّان عصرنا ، فقد بدأ علماء المسلمين بهذا النهج العلمي ، وأخذوا أنفسهم بكل صرامةٍ في سبيل الوصول إلى الحقيقة . وليس أدّل على هذا من الخدمة الصادقة التي أولوها للحديث الشريف فانتهت تلك العناية بتوصلهم إلى « علوم الحديث » .

غير ان من الحق أن أقول : إن المستشرقين قد عُنوا بتراثنا فنشروه نشراً دقيقاً بتوفير الأصول المخطوطة التي قابلوا بينها للوصول إلى (حقيقة النصوص) . ثم جاء المتعلمون من أبناء العرب ليسيروا على النهج الصحيح في نشر المخطوطات وبذلك تمّ إحياء طائفة ضخمة من مخطوطاتنا في علوم مختلفة .

ثم خلف من بعدهم طائفة من العاملين فتصدوا للنشر وإحياء التراث ، حبّاً وخدمة واحتساباً فشقوا على أنفسهم وأخذوها بما يجب وما لا يجب . وكان من ذلك أن ظهر نمطٌ جديد أو منهج صعب سأعرض له في هذه الإلمامة الموجزة .

من المفيد أن أشير إلى أن هذا المنهج الصعب قد أخذ به المستشرق الالماني (ريتر) حين نشر « أسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني ، كما أخذ بشيء منه المستشرق الأمريكي (فون كرونباوم) . ثم جاء زملاؤنا وإخواننا من أبناء العروبة فصنعوا صنيعها وكلفوا أنفسهم عناءً ، والتزموا بـ (ما لا يلزم).

نقرأ في « أسرار البلاغة » للجرجاني شواهد بلاغية من أشعار المتقدمين جاهليين وإسلاميين وعباسيين ، فكان على المحقق أن ينسب من هذه الشواهد

ما لم يكن منسوباً إلى قائله ، أو أن يضيف فوائد أخرى تخدم النصّ مَبْنى ومعنى ، كأن تكون للبيت رواية أخرى أو كأن يكون البيت قد شاع بوجه غير مقبول ، فجاء المحقق وأثبت الرواية الصحيحة المليحة ، أو كأنْ يكون البيت قد شاعت نسبته خطأً إلى شاعر ، والصحيح الذي غاب لسبب من الأسباب أن ينسب إلى آخر ، وما أكثر هذا في الشعر القديم .

لم يهتم (ريتر) كثيراً بهذه الفوائد بالرغم من خدمته الدقيقة للنص ، ومقابلته بين الأصول المخطوطة للكتاب ، بل راح يذكر المظانّ التي ورد فيها الشاهد . ولا بُدّ لي من ذكر الأمثلة على ذلك فأقول : جاء في ص ٢٤٥ من نشرة ريتر لـ « أسرار البلاغة » :

وكذلك قوله [من الطويل]:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكته وإنْ أنتَ أكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مُضِرٌ كوضع السيف في موضع الندى

إنه حسن أن يزيد الناشر فيشير إلى بحر (البيتين)، ولكنه يعود فيقول في الهامش تعليقاً على البيتين : (للمتنبي ديوانه ١|٢٨٨) . ولو اكتفى بهذا لكان عمله في غاية الحسن ، بل يعود فيقول : (الواحدي ٥٣٣، اليازجي ٣٨٧ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، الكشكول مصر ١٣١٨) ١٣٨ دون الإشارة إلى اختلاف الروايات بين هذه النشرات .

أقول: إنّ النص على أن البيتين وردا في شرح الواحدي لديوان المتنبي ، والصبح المنبي لليازجي ، والكشكول للعاملي مما لا فائدة فيه ، ولا يمكن أن يضيف شيئاً من الفوائد في النصوص المحققة ، ذلك أن البيتين من الأبيات التي يستشهد بها من شعر المتنبي . ومن أجل ذلك لم يجد المؤلف الجرجاني حاجة إلى نسبتها فهما معروفان . ثم لماذا تجاوز الناشر طبعات ديوان المتنبي إلى «الكشكول»؟ هل يعني هذا أن « الكشكول » هو الكتاب الوحيد الذي ورد فيه البيتان بعد الديوان ؟ أليس من المؤكد أن البيتين قد وردا في كُتُبٍ كثيرة ؟ فإذا كان قصد المحقق أن يذكر المظانّ التي ورد فيها البيتان فلم اكتف بالديوان في بضع من طبعاته مُضِيفاً إليها « الكشكول » مع أن « العاملي » صاحب

« الكشكول » من المتأخرين ؟ ثم إن هذا الأسلوب لا يحقق « التعالم » إن كان يصبو اليه ، ذلك أن طائفة أخرى من المظانّ قد تقدم أصحابها على «العاملي» صاحب « الكشكول». ومن ذلك ما جاء أيضاً في ص ٢٩٥ من الكتاب نفسه :

فلم أرَ ضرغامينِ أصدق منكما عراكاً إذا الهيّابةُ النّكْسُ كذّبا

وقد علق المحقق المستشرق (ريتر) في الهامش : « ديوانـه » ١ / ٥٢ (البحتري) ، والمخطوطة ١٢١ من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته الأسد . أقول : ربما كان التعليق عند هذا القدر مفيداً إلا ان المحقق أضاف إلى هذا : « غرر الفوائد ٢٣٠ — ٢٣١ » .

وما أظن ان باثبات كتاب « غرر الفوائد » تنتهي المظانّ الكثيرة ولا سيّما البلاغيّة التي ذكر فيها البيت ، فـإذا كان الأمر على هذه الحـال وكان استيفاء المظانّ أمراً يخرج عن الطاقة فلِمَ ركوب هذا المسلك الوعر ؟

أكتفي بهذين المثلين من هذا الكتاب الذي حققه المستشرق (ريتر) فأحسن تحقيقه من حيث ضبط النص والموازنة بين الاصول المخطوطة والتعريف بالكتاب بالمقدمة العلمية الدقيقة وتذييله بالفهارس النافعة .

وصنع اخوان لنا من فضلاء المحققين صنع المستشرق (ريتر) ، فأنت تعْجَبُ من الجهد الكريم الذي بذله الدكتور رمضان عبد التواب فجاء بكل مفيد ، ولكنه التزم بما لا يلزم من تخريج الأبيات في كتاب « قواعد الشعر » لثعلب وكتـاب « المذكر والمؤنث » للمبرّد وغيره . أقول : لو كان العمل ينصب على تحقيق « معجم لغوي » والمعجم من الكتب المطـوّلة فماذا يصنع المحقق ؟ أيسلك فيه سلوكه في هذه الكتب التي أشرنا اليها ؟ ثم ما جَدْوَى ذلك إن اقتصر الأمر على مواضع ورود الشاهد دون أن يضيف فائدة من نسبه أو تصحيح نسبةٍ أو إثبات فائدة تاريخية ؟

ومن المفيد أن أشير إلى الجهد الرائع الذي بذله الدكتور رمضان عبـد التواب نفسه في تحقيق رسالة « الحروف » الذي أشار في المقدمة إلى أنهـا لا يمكن أن تكون من كتب الخليل بن أحمد . ولكنه مـع ذلك مضى في تحقيقها متّبعاً منهجاً علمياً دقيقاً من حيث مقابلة الأصول المخطوطة ، ثم زاد فخرّج الشواهد التي لم تصح نسبتها إلى قائليها وجُلّهم من الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ثم إن النسبة لهذه الشواهد تختلف بـين مخطوطة وأخرى

للرسالة نفسها ، كنت أودّ أن يوفر الزميل الكريم هذا الجهد المضني لشيء أكثر أهمية من كتب اللغة وما أكثرها .

ومن منهج التحقيق في أيامنا أن يعرف المحقق بالأعلام وهو شيء حسن شريطة أن يكون العلم ممن لم تعرفه إلا خاصة الخاصة ، أو أن العلم قد ورد مشاراً إليه بشهرته ولقبه أو كنيته فيكون من المناسب تعريفه بإيجاز كأن يقال (أبو عمرو) فيشار إليـــه أنه أبو عمرو الشيباني ، وليس أبا عمرو ابن العلاء لأنّ الثاني يذكر على الأكثر كاملا أما الأول فيكتفي فيه بالكنية. أو قد يرد العلم بشهرته كأن يقال : كقول الطائي ولا بد من الإشارة إلى أنه أبو تمّام لغلبة (الطائي) عليه أكثر من البحتري الذي ينص عليـــه بـ (البحتري) أو أبو عبادة . والأغلب أن لا يراد بالطائي (حاتم) لأن ذلك يذكر بقولهم (حاتم الطائي) .

أما ان يترجم كل علم فليس ذلك من التحقيق في شيء ، ولست أرى وجهـاً للتعريف بـ (علي بن أبي طالب) و (عمر بن الخطاب) و (عثمان ابن عفـان) و (أبو بكر الصديـــق) و (امرؤ القيس) و (عنترة) و (الفرزدق) و (جرير) و (الأخطل) وغيرهم وغيرهم على نحو ما فعل غير واحد من المحققين في أيامنا .

ثم كيف يجوز لزميل من أصحابنا العاملين أن يترجم لأبي علي الفارسي،وهو العلم المشهور في هامش كتاب حققه ، ثم يأتي إلى أبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب فيقول في الهـــامش أيضاً : (وهو أكبر من أن يترجم له في هذا الهامش) !! أيكون الخشاب أعرف من أبي علي الفارسي إمـام النحاة في عصره ؟ . غير أن من المفيد أن أقول أن التعليقات التي يحررها المحقق قـد تطول كثيراً شريطة أن تزيد في معارف القارىء عالماً كان أم غير عالم أو كان من الشداة المبتدئين . وخير مثـــال على هذا يحسن أن أورد كتاب « تكملة إكمال الإكمال » لابن الصابوني الذي حققه أستاذنا الدكتور مصطفى جواد – عليه رحمة الله – فقد كانت تعليقاته ثريّة سرية جمع فيهـا فوائد نفيسة . ولكن هذا النمط من التعليق لا يتيسّر إلا للعلماء الكبار .

ولقد قرأت كتاب « الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الالمانية» للمستشرق الالماني (رودي بارت) وقد نقله إلى العربية الدكتور مصطفى ماهر . وهو من الكتب النفيسة النافعة غير أن المترجم قد أساء صنعاً بسبب من جهله بالعربية ونفائسها . لقد جاء في الصفحة الـ ٦٧ في الكلام على (يوزف هوروفيتس) المستشرق الألماني : انه نشر « دراسات شنفرة «كذا» سنة ١٩١٤ » فعجبت كيف يتصدى أحد لترجمة هذا الكتاب وهو يجهل « الشّنفرى » .

وجاء في الصفحة ٨١ « كتاب الردة لوطيمة » وقد استحال (وثيمة) صاحب « كتاب الردة » إلى وطيمة بالطاء وهو من أعجب العجب !

ولست أدري كيف لم يسمع مترجم يتصدّى لترجمة كتاب يتصل أغلبه بعلوم العربية فيثبت في ترجمته (أسرة يزيدي وأثرها في البلاط العباسي) ويريد بذلك « اليزيديون » وهم أسرة اشتهر جماعة منهم باللغة والنحو وهم معروفون في كتب الطبقات النحوية . ولا أعرف إن كان العباسيون قد استعملوا (البلاط) للدلالة على قصورهم ودواوينهم .

ومن التعليقات غير المفيدة إثقال الهامش بشروح لغوية هي في غاية الوضوح كأن يشرح (المهند) بـ (السيف) و (الكنانة) بـ (جعبة السهام) و (الوغى) بـ (الحرب) و (المفازة) بـ (الصحراء) و (الثريا) بـ (النجم) ومثل هذا كثير في الدواوين الشعرية التي أخرجها المحققون في عصرنا .

وربما كانت هذه الشروح مضلّلة ، كأن يعمد المحقق إلى شرح (الكاهل) فيأتي بكل المعاني التي وردت في هذه المادة في « لسان العرب » في حين أن المراد بـ (الكاهل) في البيت أحد هذه المعاني الكثيرة المختلفة ، ومثل هذا كثير أيضاً .

كنا نفيد كثيراً لو أن المحقق الفاضل قد فطن إلى استعمال لغوي جديد أدركته اللغة في تطورها . أو انه أشار إلى لفظ من الألفاظ المغنية الحضارية التي جدت في اللغة في عصر من عصورها الزاهرة كاستعمال المصادر في القرون المتأخرة من العصر العباسي لكلمة (جهة) للدلالة على زوج الخليفة أو الأمير

ما هذا يا «مجلة معهد المخطوطات» ؟!

للأمة العربية مع معهد المخطوطات العربية التابع للإدارة الثقافية بالجامعة العربية أكثر من عتاب – أو حساب .

أولاً – إن المعهد ضرورة ، وقد نشأ من أجل هذه الضرورة ؛ ولكنه لم يحقق الغرض الذي قام بسببه – مع الأسف .

ثانياً – إن الجامعة العربية للعرب كلهم ، والمعهد لهم كلهم ؛ ولكن الأمر لا يبدو كذلك ، والمسألة بديهية – مع الأسى .

ثالثاً – ... رابعاً ... ولا نطيل – والسر شائع .

عاشراً – أنشأ المعهد في إبان قيامه مجلة جيدة رسمت لنفسها خطة جيدة، نفذتها تنفيذاً جيداً ؛ وكان لها صداها ونفعها ، لأنها جرت ضمن الرسالة وفي

أو السلطان.ومثل هذا يقال في سائر الألفاظ الحضارية التي تجدّ في كل عصر.

وقد غاب عن المحققين وهم يقدمون للكتب التي يحققونها بمقدمات تتصل بالكتاب ومادته وطريقة تحقيقه أن يلتزموا بلغة تناسب مادة الكتاب . ألا ترى أن من العيب أن يوصف كتاب « العين » للخليل بن أحمد في مقدمة ناشره بكونه (انتاجاً بصرياً) وكلمة (الإنتاج) هذه توحي ما توحيه لغة عصرنا مما يتصل بالصناعة والزراعة . ثم كيف يجيز كاتب لنفسه أن يقول (البرجوازية العربية) وهو يتحدث عن عصر الرسالة الإسلامية الأولى . وأكبر الظن أن ذلك جاءنا من ترجمة آثار المستشرقين ومباحثهم .

وبعد فهذه إشارات يسيرة وددت أن أشير اليها حرصاً مني على أن ينصبّ جهد المحققين والدارسين على الضروري النافع عند نشر الآثار العلمية القديمة خدمة للتراث العربي الخالد .

الدكتور ابراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

ما هذا يا «مجلة معهد المخطوطات» ؟!!

للأمة العربية مع معهد المخطوطات العربية التابع للإدارة الثقافية بالجامعة العربية أكثر من عتاب ـ أو حساب .

أولاً ـ إن المعهد ضرورة ، وقد نشأ من أجل هذه الضرورة ؛ ولكنه لم يحقق الغرض الذي قام بسببه ـ مع الأسف .

ثانياً ـ إن الجامعة العربية للعرب كلهم ، والمعهد لهم كلهم ؛ ولكن الأمر لا يبدو كذلك ، والمسألة بديهية ـ مع الأسى .

ثالثاً ـ ... رابعاً ... ولا نطيل ـ والسر شائع .

عاشراً ـ أنشأ المعهد في إبان قيامه مجلة جيدة رسمت لنفسها خطة جيدة، نفذتها تنفيذاً جيداً ؛ وكان لها صداها ونفعها ، لأنها جرت ضمن الرسالة وفي

أو السلطان. ومثل هذا يقال في سائر الألفاظ الحضارية التي تجدّ في كل عصر.

وقد غاب عن المحققين وهم يقدمون للكتب التي يحققونها بمقدمات تتصل بالكتاب ومادته وطريقة تحقيقه أن يلتزموا بلغة تناسب مادة الكتاب . ألا ترى أن من العيب أن يوصف كتاب « العين » للخليل بن أحمد في مقدمة ناشره بكونه (انتاجاً بصرياً) وكلمة (الإنتاج) هذه توحي ما توحيه لغة عصرنا مما يتصل بالصناعة والزراعة . ثم كيف يجيز كاتب لنفسه أن يقول (البرجوازية العربية) وهو يتحدث عن عصر الرسالة الإسلامية الأولى . وأكبر الظن أن ذلك جاءنا من ترجمة آثار المستشرقين ومباحثهم .

وبعد فهذه إشارات يسيرة وددت أن أشير اليها حرصاً مني على أن ينصبّ جهد المحققين والدارسين على الضروري النافع عند نشر الآثار العلمية القديمة خدمة للتراث العربي الخالد .

الدكتور ابراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

حدودها ونطاقها : أخبار المخطوطات ، التحقيق ، التعريف ، أنباء المكتبات العامة والخاصة ، قوائم بأسماء مخطوطات يصعب العلم بوجودها ، رسائل صغيرة لم تنشر ... ومضت على ذلك ؛ ولا بد من ذكر المنشيء بالخير .

ثم كان ما يجب ألا يكون !

فخمدت همة المعهد ...

وتوقفت المجلة عن الصدور .

ـ لماذا ؟

ـ لا يمكنك أن تقدم أيّ سبب معقول مقبول ، لأن المجلة يجب أن تستمر وتتقدم ، وان المعهد يجب أن ينشط فيعنى بالجمع والتصوير والاقتناء والفهرسة همه خدمة الأمة في تراثها الخالد ثم خدمة الإنسانية وراء ذلك ، بعيداً عن الأهواء الشخصية والأنانيات والإقليميات ... وضيق الأفق .

يجب ... ولكن دون جدوى ... وما كل واجب يكون !

ـ والمجلة ؟ المجلة في الأقل ؟!

ـ أجل ، وضمن مدلول هذا « الأقل » ، ولكن في حدود ذهنيّةٍ معينة استأنفت المجلة الصدور . فأهلاً وسهلاً ، على أيّ حال .

ـ « على أي حال » ؟ لماذا ؟

ـ لأننا نريدها كما كانت وأحسن . إن لها رسالة معينة يجب أن تؤديها ، ولا عُذْرَ لمن قعد عن التأدية .

ـ ما لا يدرك كله لا يترك جله !

ـ ليس مكان هذا هذا .

لقد اتبعت إدارة تحرير المجلة خطةً غيْرَ حميدة ، لأنها ليست من منهج المجلة ولا من رسالتها ولا مما يطلبه القراء منها ... وانها لتدل على أشياء كثيرة ، كلها في غير مصلحة المجلة وفي غير ما يشرّف القائمين عليها ... لأنها تشير إلى الكسل حيناً وعلى الجهل بالفن الصحفي حيناً آخر ... وعلى أشياء أخرى حيناً آخر .

كان ذلك إذ أصدرت عدداً خاصاً بديوان عمرو بن قميئة (حققه وشرحه

حسن كامل الصيرفي) استغرق مساحة واسعة من مداها واستنزف مدة غير قصيرة من عمرها [1] ـ ولا تسل عن المال المهدور ...

وليست المجلة مسؤولة عن أعداد خاصة بديوان هذا الشاعر أو كتاب ذلك الناثر ؛ إن مكان مثل هذه الأمور – وهي مهمة – دوائر تحقيق التراث ، وان المنهج يقتضي أن تنشر هذه الكتب مستقلة لتسهل الاستفادة منها ، وليسهل حفظها في دور الكتب – وكم يكون جميلا لو ان المعهد اضطلع بالتحقيق في سلسلة يسهم فيها العرب كلهم بمعزل عن المجلة ومال المجلة .

إن المجلة إذ ترى أن تصدر عدداً خاصاً ، فليكن ضمن مهمتها كالتعريف بنوادر المخطوطات العربية في العالم مع نماذج مصورة ؛ أو في قوائم كتب ومكتبات غير مفهرسة ... أو ما يشبه ذلك .

ثم إن ديوان عمرو بن قميئة مطبوع سنة ١٩١٩ في كمبردج بتحقيق المستشرق (ليال) في عدد محدود معقول من الصفحات (٧٦ صفحة مع الترجمة الإنكليزية) وكان من الممكن أن يعاد طبع هذا المطبوع بعد الزيادات القليلة اللازمة التي يستدعيها الزمن بين الطبعتين ويقتضيها تميّز إدراك المحقق العربي عن المحقق الإنكليزي ، وإلا ، فالنسخة المخطوطة المعتمدة واحدة ،هي هي: نسخة مكتبة الفاتح بالآستانة ، لدى المستشرق (ليال) ولدى الشاعر الصيرفي .

أما وقد وقعت الواقعة ، وكان ما كان ، فلنقل إنّ شيئاً ينشره « معهد المخطوطات العربية » – يجب أن يكون أنموذجاً في فن التحقيق – وعلمه ، إن شئت ، لا أن يكون خروجاً عن القواعد ومجانبة للأصول وخرقاً لتجارب طويلة أسهم في بنائها الغرب والشرق .

إن في هذا الديوان الذي نشرته مجلة المعهد في عدد خاص خروجين أو ثلاثة أو أكثر .

الأول – أنه احتاز مجلداً كاملا من المجلة ، فحلّ في غير محله ، وأثرى على

---

(١) المجلد الحادي عشر (بعدديه) تاريخ الغلاف ١٩٦٥ وتاريخ التحقيق ١٩٧٠ (!) ثمن الاشتراك السنوي ٢٠٠ قرش .

حساب ما هو طبيعي للمجلة من أخبـار وقوائم عن المخطوطات ولها ... ورسائل الجهات ...

الثاني – ان المساحة التي احتازها تتسع لأكثر من عددين... لأنه استغرق سنة كاملة بسعر أربعة أعداد .

الثالث – ان الديوان سيظل قابعاً بين أعداد المجلة مما صدر – ويصدر – وسيضيع كأنه لم يصدر ، ويكون بذلك قد فقد مكانه كتاباً كما فقده مجلة .

الرابع – ان دويويناً صغيراً يصبح ضخماً مثقلاً بالحواشي والتعليقـات والأخبار الخاصة والعامة يضيع نصه بين الأكداس ، ويصير الكتاب الجديد كشكولاً – وما هكذا التحقيق ، ولا يقر ذلك ذو خبرة وعلم فضلاً عن أن يكون المسؤول الأول معهداً للمخطوطات !

أخشى أن يقع هذا العدد الخاص بيد المبتـدئين من المحققين فيحسبوا أنه المثل الأعلى ويتخذوا منه قدوة سيئة وحجة واهية .. ويثنوا عليه بما لم يكن له أهل ويعدّوه منهجاً علمياً ..

الخامس ... السادس ... في الوقت الذي كانت تدور مطابع القاهرة على « الضخامة » كانت مطبعة وزارة الإعلام في بغداد تطبع تحقيقاً للديوان نفسه ولكن في نهج أنموذجي سليم وحجم مقبول معقول .

– ترى ، ما السّرّ الذي حمل « مجلة معهـد المخطوطات العربية » على الشذوذ ؟

– يستطيع المرء أن يقدّم أسباباً كثيرة ، بينها الاستئثار والاستهانـة ، والنفع المادي والتنفيـع ... إلا أن الذي كان واجباً أن يقع بعد صدور العدد الضخم : الحساب والعقاب لئلا تتكرر الظاهرة ويصبح الشذوذ عُرْفاً .

أجل ، ولكن ما أسرع ما يصبح المرض لدينـا صِحّةً ! وها هي ذي المجلة نفسها تسرع فتستبق الحساب فتصدر عـدداً خاصاً آخر يضم كتاب « الكافي في العروض والقوافي» للتبريزي ...

ونقرأ للصيرفي نفسه خبراً مروّعـاً خلاصته أن تحقيقـه لديوان عمرو بن قميئة هو أحد تحقيقات كثيرة من هذا الضرب الفائل ، ذكر منها :المتلمّس،

المثقّب العبديّ ، المرقّشَين ، الحـادرة ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، لقيط بن يَعمر الإيادي ، سلامة بن جَندل .

ولا أريد أن أقول : إن هذه الدواوين – في أكثرها – مطبوعة ، وأن منها ما طبع أكثر من مرة ، ومنها ما صدر في تحقيق علميّ جديد في الأيام الاخيرة (في سورية والعراق) .. تلك مسألة تخصُّ الصيرفي أولاً ، وأن كان اللازم تكون مجلة للمخطوطات على علم بماجرى – ويجري – في العالم العربي مما هو في صميم اختصاصها .

للأستاذ الصيرفي أن يحقق ما يشاء وأن ينشر مـا يشاء ، ولكن الذي أخشاه أن تحتجز هذه الدواوين الثمانية ، ثمانية أعداد أو ثماني سنوات من عمر « مجلتنا » ، وإلا ، فلم كان الصيرفي يقول إذ يـذكر أسماء هذه الدواوين : بتحقيقنا في هذه السلسلة ؟ أية سلسلة ؟ أرجو ألا تستحيل « المجلة » سلسلة .

لا ... إن « مجلة معهد المخطوطات » ليست وقفاً على الأستاذ الصيرفي ، ولم تنشأ لتعيد نشرالمنشورعلى نهج غير سليم ... إنّ أمام الأستاذ الصيرفي أكثر من مجال للنشر مـا يشاء ، وأوّلُ هذه المجالات حسابه الخاص ، وثانيها دروب القاهرة المختلفة .

ثم ، إذا كان ولا بدّ ، فعلى المعهد في هذه الحالة – والحالات المناظرة – أن يبقي المجلة مجلة ، ويشرع في إصدار سلسلة خـاصة بتحقيق التراث يفيد منهـا الصيرفي وغير الصيرفي ، المصري وغير المصري ، بشرط أن يكون المخطوط المحقق نادراً ، وأن يكون التحقيق أنموذجاً في بابه . وإلا ، فما زال العالم في خير ، وفيه من يستطيع أن يتألم لفساد ويغار على أصول .

أجل ... إننا نرجو من مجلة معهد المخطوطات أن تبقى مجلة وأن تعمل على تقوية نفسها ضمن الهدف الذي أُنشئت من أجله وبالشروط التي يمكن أن تؤدي بها الفائدة المرتجاة ... انهـا مجلة ، وهي وحيدة في بابها ، وليست وسيلة لنشر المخطوطات مثلها عشرات الوسائل في القاهرة وغير القاهرة ، رسمية وغير رسمية ..

أجل ... نرجو ألا تتكرر الحالة المرَضيّة ، ونأمـل للمجلة الصحة والعافية وسلامة الغاية والنية والخطة ...

* * *

- ولكن ما بال الصيرفي ... إن بالكلام الذي ورد عليه حاجة إلى توضيح ، وأرقام وأمثلة .

- أجل ... وأسمع :

١ - تقع مخطوطة ديوان عمرو بن قميئة في (١٢) ورقة بمعدل (١٥) سطراً (أو أقل) للصحفة الواحدة بحرف أكبر من المعتاد . وقد جعل الأستاذ الصيرفي - بمنهجه العجيب في التزيّد - من هذه الـ (١٢) ورقة الصغيرة (٤٢٤) صفحة - غير ٥٣ صفحة للمقدمة - وهذا غير معقول .

٢ - اني أستطيع أن أختصر هذا الرقم الكبير إلى النصف توفيراً للورق واقتصاداً بالنفقات وتقليلاً للسعر دون أن أخرج عن المنهج الذي اختاره الصيرفي، ودون أن آتي ببدعة ، وذلك بأن :

أ - أكتب الهوامش بحرف أصغر من حرف المتن .

ب - أكتب الفهارس بحرف صغير كذلك .

جـ - أجمل فهارس الأعلام ، والقبائل ، والبلدان ، والحيوان ، والنبات ، والكلمات والحروف التي استعملها الشاعر ، والمعارف العامة ... على عمودين (أو أكثر) وأجنّبها تكرار ما قلته في الهوامش .

٣ - يشرح الأستاذ الصيرفي كلمات ترد في النص ما بها من حاجة إلى شرح لأنها معروفة شائعة قديماً وحديثاً . أذكر من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر :

ص ٦ - تزوّد : اتخذ الزاد وهو الطعام يتخذ للسفر .

٣٨ - الأحلام : جمع الحِلم وهو الأناة والعقل .

٤١ - العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفيفة . الواحد أعيس والواحدة عيساء .

٤٤ - شآمية : نسبة إلى الشأم. ويقال شآمية مخففة الياء أيضاً.

٤٩ - الضيم : الظلم .

٥٧ - يحبو : يعطي .

٧١ - أحطاب : جمع الحطب ، وهو ما أُعدّ من الشجر مشبوباً للنار ، والقطعة منه حطبة .

٨٨ – المقتل : الموضع الذي إذا أصيب فيه صاحبه لا يكاد يسلم .
١٠٣ – الجماجم : جمع الجمجمة وهي الرأس أو عظم الرأس المشتمل على الدماغ ..
١١٩ – الضيم : الظلم والقهر .
١٢٣ – الشواء : ما شُوي من اللحم وغيره أي ما عُرّض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل .
١٣٥ – السّوق : حث الماشية على السير من خلف ، أي ساقها ، وهو ضد قادها .
– الهموم : جمع الهم وهو الحزن .
١٦٨ – البيداء : الفلاة .
١٧٥ – الذمة : العهد والأمان والضمان .
– عتب : لام .

ما بنا حاجة إلى تفسير مثل هذه المفردات ، وهي تحتل – في أبسط صور التفسير سطراً كاملاً من سطور المطبعة ، فإذا ذكر الشارح ما لا صلة له بالغرض المطلوب من الشرح عقّد الأمر على القاريء وخرج عن الاصول وجعل من السطر وأكثر من سطر .

وقد رأينا في الأمثلة السابقة شيئاً من ذلك ، وهناك في الأمثلة الأخرى ما هو أدهى وأمر . ولنذكر على سبيل التمثيل لا الحصر :

ص ٦٦ – : اللجة من البحر : حيث لا يدرك قاعه . وجاء في اللسان أيضاً : « ولج البحر الماء الذي لا يرى طرفاه ... وكمية المـاء ومعظمه وخص بعضهم به معظم البحر » .

ص ١١٠ – : الروضة : الأرض ذات الخضرة ، والروضة : البستان .

والروضة : الموضع الذي يجتمع اليه الماء يكثر نبته ولا يقال في موضع الشجر : روضة . وقيل : الروضة عشب وماء ولا تكون روضة إلا بماء معها أو إلى جنبها ... والروضة أيضاً في البقـل والعشب . قال الأعشى ميمون بن قيس [ديوانه ٥٧] :

مـا روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليهـا مسبل هطل

ص ١٢٨ – : الرماد : دقاق الفحم من حراقة النار وما هبّ من الجمر فطار دقاقاً ، يستدل به على مكان القوم بعد الرحيل . ويقال للشيء الهالك من الثياب خلوقةً : رمد وهمد وباد . والرّامد : البالي الذي ليس فيه خير وبقية . قال المخبل السعدي واسمه ربيع بن مالك في المفضلية ٢١ [٢٠٨ – ٢٠٩ بيروت ، ١١٣ مصر] .

وأرى لها داراً بأغدرة الـ ـسيدان لم يَدْرس لها رسمُ
إلا رماداً هامداً رَفَعَتْ عنـه الرياح خوالدٌ سحم

[ويقصد بالخوالد : الأثافي السود] .

إني أفهم أن يبالغ امرؤ في الشرح ، وفي شرح المشروح ، أما أن يصل به الأمر إلى شرح كلمة « الرماد » وعلى هذه الصورة فذلك أمر خارج عن طاقة الفهم !

أجل ، إن الأستاذ الصيرفي يخرج بالشرح إلى مـا لا علاقة له بالكلمة الواردة في النص ، وليس هذا بالمذهب المقبول في علم التحقيق ، إذ ان المقرر الاّ تشرح مشروحاً ، وإذا شرحت فلا تعدد المعنى الذي يقتضيه البيت لئلا يضل القاريء وتضيع الفائدة ، وإلاّ فـ « تاج العروس » مطبوع و«لسان العرب» كذلك ... ، وليس من التحقيق في شيء أن تنقل صفحات من المعاجيم إلى هوامش الكتاب المحقق .

وقد رأيت في الأمثلة ما لا يترك مجالاً لشك ، وفي الأمثلة الأخرى مـا هو أدعى للعجب وذلك إذ يخرج السيد المحقق عن الغرض بعيداً جداً جداً ، فينتقل من شرح كلمـة وردت في بيت لعمرو بن قميئة إلى كلمة أو كلمات وردت في أبيات أخرى ذكرها هو نفسه على سبيل الاستشهاد .

ومن ذلك أن جاء في متن الديوان المحقق (ص ٤٩) :

قد كنت في ميعةٍ أسرُّ بهـا أمنع ضيمي وأهبط العُصُما

الميعة : الشباب . العصم : الوعول .

فلم يكف ما جاء في المتن الأستاذ الصيرفي فكتب في الهامش ما يأتي :

الميعة من الشباب والنهـار والحب وجرى الفرس ومن كل شيء : أوله وأنشطه ، وقيل ميعة كل شيء: معظمه . قال زهير بن أبي سُلمى [ديوانه ١٣٧]:

بذي ميعةٍ لا مَوضعُ الرُمح مُسلِمٌ   لبطءٍ ولا ما خَلْفَ ذلك خاذله

الضيم : الظلم .

العصم : جمع الأعصم من الظباء والوعول ، وهو ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . وهو هنا يقصد الوعول (جمع وعل بسكون العين وكسرها) وهو التيس الجبلي . وتسمى أنثاه أرْوِيّه ، وهو يأوي الأماكن الوعرة والخشنة من الجبال . قال أمرؤ القيس بن حُجر [ديوانه ٢٦ دار المعارف] :

وألقى ببُسيانٍ مع الليل بَرْكَهُ   فأنزل منه العُصْم من كل منزل

[بسيان : جبل — والبرك : الصدر . وروى في شرح المعلقات السبع لابن الأنباري (١٠٤) : « ومرّ على القنان من نفيانه » .

والقنان : جبل لبني أسد وأصل النفيان ما تطاير من الرشاء عند الاستقاء]

ترى أين صرنا ببسيان وملحقاتها من العصم وعمرو بن قميئة ؟

لو نزّه الصيرفي شرحه — ولا أقول : تحقيقه — من هذا الفضول — الذي لا يريد لنا أن ندعوه : تزيّداً — لوَفّر ورقاً ومالاً غزيرين يمكن أن يستغلا في وجوه صحيحة من التحقيق ، ولجنب الناشئين المثل السيء ، ولمكننا من نشر أربعة دواوين — أو أكثر — من حجم ديوان عمر بن قميئة ومعه — في المجلد نفسه — إن كان لا بد من إصدار هذا المجلد خاصاً بتحقيق نص .

* * *

وبعد فإننا لم نذكر الصيرفي لأنه الصيرفي ولا لشك في علمه ، وإنما ذكرناه لخروجه عن جادة التحقيق العلمي ، ولأن اسمه اقترن بمجلة معهد المخطوطات إذ خرجت عن الخطة الحميدة إلى بدعة أية بدعة !

نرجو أن تنظر المجلة في أمرها ملياً ، وتعرف نفسها جيداً ، وتربأ بموقفها عن الإصرار على الباطل ، وتميّز بين ما هو شخصي أو مصري وما هو للعرب كلهم ...

بغداد — كلية الآداب   علي جواد الطاهر

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول بيشة

في « العرب » ص ٢١٠ السنة الخامسة في الحديث عن بيشة ، وأنه اسم يطلق على واد في جنوب الجزيرة وتنحدر إليه أودية كثير من السراة سراة غامد وسراة خثعم وما حولها ، وأحب أن أدلي في توضيح في بعض جوانب مما يتعلق بوادي بيشة وروافده المهمة .

إن وادي بيشة يبدأ من شعاف جبال عسير وشهران وبعض بلاد قحطان، ومن بلاد بني الأحمر وبني الأسمر ، وهذه الشعاف مشرفة على تهامة ، فما سال منها شرقاً نزل في وادي بيشة ، وما سال منها غرباً فهو يسيل في أودية تهامة ، مثل وادي بيش ، وهو كوادي بيشة في العظمة والإتساع ، ووادي حلي بن يعقوب الذي ذكره ابن بطوطة في رحلته ، ووادي بيض بخبت البقر ، ووادي درب بني شعبة وغيرها .

أما أودية سراة غامد فهي لا تسيل في بيشة مباشرة كما ذكر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة « العرب » ، وإنما تسير في وادي رَنْيَة ، ووادي رنية يلتقي مع وادي بيشة في مكان يسمى الفَرْشة في المَهْمَل بعيداً عن حدود العامر ، كما أنّ بلاد خثعم وشمران تسيل في وادي شواص ، وهو من روافد وادي رنية ، وإذا كثرت الأمطار يتكون في أعلى وادي رنية غدير عظيم في مكان يدعى عين جَبر حتى يتوالد في ذلك الغدير الحوت ، ويبلغ من الكبر مقدار ذراع ، وقد شاهدت هذا الموضع بنفسي ، واصطدت من حوته أنا وبعض الاخوان وذلك في عام ١٣٨٥ – على ما أذكر – .

أما بيشة ابن مشيط وبيشة ابن سالم فهما نفس وادي بيشة أعلى الوادي من الجهة الجنوبية ، وعلى جنبتيه تقع المدن والقرى كمدينة خميس مشيط

ومدينة ابها ، اذ أن واديها التي بدأت حكومتنا الجليلة – وفقها الله – باقامة سد عليه ينزل سيله في وادي بيشة بقرب بلاد ابن هشبل ، ويعرف اسفله في الوقت الحاضر باسم (المقطاع) ، ويستمر وادي بيشة في الاتساع كلما وافته روافده من يمينه او شماله حتى يصل بيشة النخل ذات الغابات الكثيفة والحدائق الغنّ والنخيل الباسقات والماء العـذب الغزير ، وتنتشر على ضفتي الوادي حدائق النخيل فتكون غابات جميلة متسمة منسقة في غراسها صفوفاً صفوفاً، كأنما سطرتها يد فنان ماهر ، وتجدها منقادة وغير منقادة فجوار كل قرية حدائقها الزاهرة .

وقد كان اهل بيشة في الماضي كغيرهم من القبائل لا يكادون يتعدون حدود قراهم حتى جاء الله بالعهد السعودي الزاهر ، فانطلق الناس من عزلتهم إلى ارض الله الواسعة تاركين أسوار قراهم وراء ظهورهم ، فحفرت الآبار منتشرة هنا وهناك ، وشيدت بجوارها الابنية الحديثة ، وغرست الاشجار ، فـإذا ما أقبل الانسان على بيشة ظنها من بُعد أمواجاً تتلاطم ، او جبالاً شماء ، لكثرة نخيلها المتشابكة ،فهي تكون غابة شجراء قد تهدلت أغصانها وتفتحت أزهارها وأينعت ثمارها،وصدحت طيورها،وكأن ايليا أبا ماضي يعنيها بقوله:

تآلفت فالمـاء من حولها يرقص والطـير تُغنّيها

إلى آخر أبياته

بيشة — جابر الطيب بن علي

العـرب

شكراً للاخ الكريم وللاحظاته القيمة وحديثه الممتع عن بلادنا الحبيبة ومزيداً من مثل هـذه النغمات الرقيقة التي أثارت في النفس كامن اشواقها لمشاهدة تلك الارض الطيبة .

حول اصول بعض القبائل

وجه الشاب الأديب عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبدالله آل يحيى من طلاب كلية التربية بمكة المكرمة إلى «العرب» الاسئلة الآتية نذكرها متبعة بالجواب:

أ – بنو هلال وأصلهم :

بنو هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان من عدنان ، لا يختلف النسابون في ذلك . أما بلادهم فكانت تمتد في عالية نجد مستطيلة من الجنوب حيث توجد حَرّة بني هـلال المعروفة الآن باسم حرّة البقوم الواقعة غرب رنْية وشمالا إلى حرّة كشب المعروفة في عالية نجد ومن مناهلهم وبلادهم :

١ – البَرَدَانُ

٢ – بيشة مع خثعم وسلول وقبائل من بني عامر

٣ – تُرَبة مع قبائل أخرى

٤ – حَرّة بني هلال وتقدم ذكرها .

٥ – مَرّان وكان فيه قرية كبيرة لهم ومَرّان لا يزال معروفاً بعالية نجد

اما هجرتهم ففي القرن الخامس الهجري وقد اورد ابن خـلدون في تاريخه كثيراً من اخبارهم .

ب – الصُّلبَةُ (الصلب) واحدهم صُلبِي

ليس صحيحاً ما يقال من أن أصلهم من الصليبيين فقد كانوا معروفين في جزيرة العرب قبل عهد الصليبيين ، ولكنهم خليط من العرب المجهولي النسب ومن بعض الأعاجم ومن بقايا الأمم البائدة ولأحد أبنائنا من الكويت وهو الاستاذ عبدالله بن الغنيم بحث مفصل حولهم نشر في مجلة «البيان» الكويتية .

ج – هُتَيم :

أما هتيم نجد والحجاز الذين ينتشرون على ضفاف وادي الرمة وفي الحرار الواقعة غربه فلا صلة لهم بالصلبة بـل هم من القبائل العدنانية من غطفان ومحارب وعبس وغيرهم .

وقد نشرت مجلة العرب بحثاً مطولاً حولهم وانظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة [1] » .

د : — **العاربة والمستعربة** : يختلف المؤرخون المتأخرون فيما اتفق عليه علماء النسب المتقدمون من تقسيم العرب إلى عدنانية وقحطانية ، وأن القحطانية هم العاربة والعدنانية هم المستعربة ، بينما يتفق المتقدمون على هذا يرى المتأخرون ان هذا التقسيم تعوزه الأدلة القوية ، ذلك أن تاريخ العرب إلى ما قبل العصور القريبة من ظهور الإسلام كان مجهولاً وذلك التقسيم المتقدم أتى عن روايات وأخبار هي محل للشك أو على الأقل للتحقق من صحتها ، وعلى فرض صحة القول بأن العدنانية من العرب المستعربة ، فإن المعنى انهم تعلموا اللغة العربية من أمم قبلهم فأصبحوا عرباً وأصبحت لغتهم أفصح اللهجات العربية والموضوع يحتاج إلى تفصيل أوفى من هذا .

هـ — **قبيلتا بكر وتغلب** :

هاتان القبيلتان من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار ، أما قبيلة تميم فترجع بأصلها إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار . والشاعر جرير ليس من تغلب بل من تميم من بني يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وله في بني تغلب أهاج مقذعة معروفة .

ومنازل بكر وتغلب كانت عالية نجد ففرقتها الحروب وانتقلت قبل الإسلام من الجزيرة إلى العراق وأطراف الشام . أما منازل بني تميم فكانت تمتد في وسط نجد من الغرب أعالي إقليم السر ، ومن الشمال إلى الطرف الشمالي من القصيم ومن الجنوب إلى جنوب الوشم ومن الشرق إلى الأحساء ويتخلل منازلها قبائل أخرى مختلفة ومن تلك القبائل قسم من بكر بن وائل تقيم في وادي حنيفة وما حوله إلى الخرج ومن بكر بن وائل : بنو حنيفة سكان هذا الوادي ومنهم بنو قيس بن ثعلبة الذين منهم الأعشى الشاعر وبلدته مَنْفوحة المعروفة في جنوب الرياض .

و«العرب» تشكر السائل الكريم وتتمنى له التوفيق، وتعتذر عن الإيجاز في الأجوبة لضيق المجال .

---

(١) صفحة ٢٢٦ إلى ٢٣٠ .

حول قبيلة بني خالد

كتب الشاب الأديب سليمان بن علي الخويطر من الرياض يستوضح عن قبيلة بني خـــالد : أفخاذها ، والأسر التي تفرعت عنها ومساكنها في المـــاضي والحاضر ، والسائل الكريم من آل خويطر من بني خالد سكان مدينة عنيزة .

« العرب » : قبيلة بني خالد من أشهر قبائل الجزيرة ، عدنانية الأصل ، ترجع كثير من فروعها إلى بني عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان من عدنان ، وهي كغيرها من القبائل العربية مازجتهـا أفخاذ كثيرة من قبائل أخرى بطريق الحلف والاحتماء بقوّتها ، ذلك أنها كانت في القرنـــين التاسع والعاشر الهجريين ، بل إلى منتصف القرن الثـــاني عشر ، كانت تسيطر على نجد ، وقامت لها حكومة في الإحساء امتد نفوذها إلى نجد ، من عهد الدولة الجبرية إلى آل غرير فـآل عرَيْعر ، ولهذه الحكومات أخبار مفصلة لا يتسع المجال لذكرها .

وبنو خالد كانوا في الأصل من القبائل الرحّل ، وقد تحضّر عدد كثير منهـم ، وانتشروا في الاحساء في مختلف قراه ، وفي القصيم وفي الوشم وفي سدير وفي الخرج ، وقد نشير فيما بعد لبعض الأسر المتحضرة .

ويظهر أن القسم الذي كان يعيش من هـــذه القبيلة في نجد دخل تحت سيطرة قبيلة بني لام من الفضول عند اشتداد شوكة هؤلاء وقوتهم واتساع نفوذهم في القرن الثامن الهجري وما قبله بيسير ، ذلك اننا نجد ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار » [١] وهو يتحدث عـــن القبائل التي تنضاف إلى آل فضل يَعُدُّ منهم من بني خالد آل جناح والضبيبات من مياس والجبور والدعم والقرشة وآل مُنَيْخر وآل بشوت والمعامرة والعلَجات .

ونجد القلقشندي وهو يتحدث عـن منازل بني خالد في كتابه « قلائد

(١) ج ٤ الورقة ١٥ مخطوطة أيا صوفيا في استنبول رقم ٣٤١٧ .

الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»[1] يقول نقلاً عن ابن فضل الله: بنو خالد دراهم التّنّومة، وضيدة وأبو الديدان، والقريع، وضارج، والكوارة (القوارة) والنبوان، إلى ساق العرفة، إلى الرسوس، إلى عنيزة إلى وضاخ، إلى جبلة إلى السرّ، إلى العودة (؟) إلى العشرية (؟) إلى الأنجل.

ويذكر في كتابه « نهاية الارب في أنساب العرب »[2] أن آل جَناح بطن من بني خالد من عرب الحجاز ذكرهم الحمداني، وعربهم في حلف مع آل فضل.

غير أن بني خالد هؤلاء ما لبثوا أن سيطروا على وسط نجد وشرق الجزيرة، فنجد الشاعر العامي جُعَيْثن اليزيدي من أهل الجزعة قرب المصانع وهو يرثي مُقرن بن أجود بن زامل وهذا من الجبور من بني خالد فيقول[3]:

و (نجدٍ) رعا ربعي زاهي فلاتها
على الرّغم من سادات (لام) و (خالد)
وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

واتساع نفوذ هذه القبيلة — كما قلنا آنفاً — سبب انتشارها ودخول أفخاذ عربية فيها، وتلك عادة كل قبيلة عربية تكون لها صولة وقوة في زمن من الأزمان، ينطبق هذا على كل القبائل العربية بدون استثناء.

بقي الحديث عن صلة هذه القبيلة بمدينة عنيزة حيث يوجد عدد من الأسر الخالدية في هذه المدينة سنذكرها فيما بعد.

يظهر أن امتداد نفوذ بني خالد في عنيزة كان بعد القرن التاسع الهجري بزمن يسير، ذلك أننا نجد أن النفوذ في هذه البلدة في أول القرن التاسع لقبيلة (لام) كما يفهم من خبر أورده مؤرخ مكة العلامة تقي الدين الحسني الفاسي قال:

---

(١) ص ٨٩.
(٢) ص ٩٩.
(٣) كتاب: « مدينة الرياض » ص ٨٣.

(في سنة ٨٢٢ توجه العلامـــة عمدة المقرئين شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي – توجه من شيراز مُريداً للحج فعرض له بنو لأم بقرب عُنيزة فنهبوا مـــا معه من التحف التي استصحبها هدية لأعيان أهل الحرمين ، وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله ، فلما ظفر بكتبه توجه قاصداً للمدينة النبوية ، فنهبه بعض بني حسنٍ أيضاً ، وتوصَّـــل إلى المدينة النبوية في شهر صفر سنة ٨٢٣هـ [١]) .

ومما يؤسف أن تاريخ مدن الجزيرة وقراهـــا لم يدون بطريقة متصلة صحيحة ، ولهذا فليس من المستطاع معرفة الزمن الذي ابتدأ به نفوذ بـــني خالد يقوى في بلدة عنيزة ، غير أننا نجد فيما دون من أخبار هذه المدينة ، أنها كانت في القديم تتكون من محلات كل محلة منفصلة عـن الأخرى بسور وكان من تلك المحـــلات : ١ – الجَنَاح ، ٢ – الضَبَط ، ٣ – الخُرَيزة ٤ – العُقَيْلِيّة ، ومَحلة الجَنَاح هي أكبر محلة في تلك البلدة ، وقد سميت باسم سكانها آل جَناح من بني خالد . ويفهم من كلام الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن مانع – رحمه الله – أن تلك المحلة عُمِرَت في القرن السابع الهجري [٢] ، وأن امارة تلك المحلات إلى ما يقرب من القرن العاشر كانت لآل جَناح ، ويقول الأستاذ عبد العزيز بن محمـــد القاضي في قصيدته العُنَيزية : تأسست عُنيزة في آخر القرن السابع الهجري ، وأول ما تأسس منها قسمها الشمالي المعروف باسم الجناح ، وهو اسم القبيلة التي نزلته وتنتهي إلى الجبور من بني خالد القبيلة المعروفة ، ونجد أخباراً مفرقة من آل جناح في عُنيزة منها :

١ – في سنة ١١١٥ استولى آل جناح على عنيزة كلهـــا بعد قتل الأمير فوزان بن حميدان بن معمّر بن آل فضل من من آل جرّاح [٣] .

٢ – ثم أخرجوا من عنيزة ولكن في سنة ١١٢٨ هجم على عنيزة ادريس ابن صعب بن شايع الخالدي شيخ الجناح ، فهدم القصر واستولى على البلدة إلا

---

(١) « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ج ٤ ص ١٣٨ .

(٢) « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٣٢ .

(٣) « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٨٤ و ٢٣٤ و « العنيزية » ص ٧ .

أن آل فضل تمكنوا فيما بعد من إخراجه ، وصارت إمـــارة عنيزة فيما بعد للشاعيب من آل جراح من سُبَيع .

٣ ـ ولكن آل جناح قاموا فيما بعد بحركات أخرى في عنيزة كان منها :

١ ـ في سابع جمادى الأولى سنة ١١٣٣ ذَبحة آل جناح من بني خالد أهل بلد الجناح في الدار ، في الخُرَيزة ، في بلد عُنيزة ، ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك كان سنة ١١٣٨ هـ [١] .

٢ ـ في سنة ١١٥٥ قُتِل حسن بن مِشعاب أمير بلدة عنيزة ، قتله آل جناح من بني خالد ، أهل الجناح ، هم والشُّخَتة ، من المشاعيب من آل جرّاح من سُبيع ، وجلا آل جرّاح من عنيزة ، واستولى آل جناح من بني خالد ، أهل الجنـــاح ، هم والشُّخَتَةُ ، من المشاعيب من آل جَرّاحِ على عُنَيْزَةَ كُلِّها ، والشُّخَتةُ منزلتهم الجادّةُ ، المعروفة في عُنيزة .

وفيها غُرسَتِ الجادّة في عُنيزة [٢] .

٣ ـ في سنة ١١٧٤ قُتِلَ رُشَيْد أمـير عُنَيْزَةَ ، من سُبَيْع ، هو وفَرّاج أمير بلد الجناح ، من آل جَناح ، من بني خالد ، قتلها عِيـــال الأعرج من آل أبي غنّام هم وآل زامل من سُبَيْع ، ومعهم غيرهم ، فقتلوهما في مجلس عنيزة ، وذلك أنّ أهل عنيزة وأهل الجناح كانت بينهم حروب وفِتْنَةٌ يطول ذكرها ، فلما استولى رُشَيْد على عنيزة ، واستولى فَرّاج على بلد الجنـــاح اصطلحا على وضع الحرب بينهم ، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة حتى امتدّ كل منهم في الفلاحة ، وكثّروا من غرس النخيل ، وكثرت أموالهم ، ثم إنّ الوشاة حرّشوا بـين أهل عنيزة وأهل الجناح ، فاتفق رجال من عشيرة رُشيد ورجال من عشيرة فرّاج على قتلها فقتلوهما ، فثارت الفتن بعد قتلها بين الفريقين [٣] .

---

(١) « تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق » للشيخ عبد الله بن محمد آل بسام .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

مما تقدم يتضح بجلاء صلة بني خالد بمدينة عنيزة صلة كان من أثرها وجود أسر في هذه المدينة تمت بنسبها إلى بني خالد سنذكرها فيما بعد . ويحسن أن نورد هنا بياناً بأهم الأسر المتحضرة من بني خالد اعتماداً على كتاب «قلب بلاد العرب» لفؤاد حمزة وكتاب «كنز الانساب» للشيخ حمد الحقيل و «المنتخب» للشيخ عبد الرحمن بن زيد . أما عن عنيزة فمن كتاب الشيخ عبد الله بن بسام العنيزي ، وهناك أسر كثيرة خالدية لم نجد لها ذكراً فيما بين أيدينا من المؤلفات ، وعسى أن يتدارك القراء ما فاتنا من ذلك .

١ – في الأحساء ونواحيها : آل بداح ، آل بدين ، آل أبو عياش ، الجبور ، آل جويد ، الخطيب (في المبرّز) آل دايل ، آل دعيج ، آل دوغان ، الدواودة (في القطيف) السحبان ، آل شباط، آل صقيه ، آل صبيح (في الجبيل) الظهيرات ، العلجان ، ومنهم الشيخ عبد العزيز العلجي، العواصى (واحدهم عويصي) ، آل غنيم ، آل فارس ، آل فرعين ، آل فيّاض ، آل كثيب ، المطاريد (واحدهم مطرودي) ، المقدام ، آل نويران ، آل ودي ، آل هدهود .

٢ – الأرطاويّة : آل حمد .

٣ – أُشيقِر : آل حُفيّر .

٤ – البَرّة : آل ماجد .

٥ – بُرَيدة : الربادى (واحدهم ربدي) .

٦ – البُكيرية : آل بليهد (من السيايرة) .

٧ – ثادق : آل خالد وآل صالح .

٨ – ثرمداء : آل حامد .

٩ – جِنّة : (جزيرة قرب الجبيل) : آل حسن ، وآل شاهين .

١٠ – حائل : آل ضبْعان .

١١ – حُريملاء : آل ابراهيم وآل جمّاز وآل حيدر من آل صالح وآل دُحيم، وآل شِدّي، وآل صالح ، والعرافا (واحدهم عَريفي) وآل مشعل.

١٢ – الخَبراء : آل شايع .

١٣ – الخرج : آل سليمان وآل سُويكت وآل شِدّي وآل غملاس .

١٤ ـ الرسّ : آل بلاّع .
١٥ ـ رَغبة : آل فالح .
١٦ ـ الرياض : آل حُمَيْد الذين منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد (المشرف العام على التدريس في الحرم المكي الشريف)،وآل شِقري ـ باسكان القاف وكسر الراء ـ
١٧ ـ الزُلفي : آل حَمد ، وآل حمران ، والدوشان (واحدهم دَويش)
١٨ ـ السلمية : آل رازن .
١٩ ـ الشعراء : آل خَلف .
٢٠ ـ شقراء : آل عوشن وآل فاضل والسباعى (وأحدهم سُبيعي)
٢١ ـ الشيحية : آل بليهد (من السيايرة) .
٢٢ ـ الصُفُرّةُ : بضم الصاد والفاء والراء المشددة بعدها هاء: آل ذيب وآل مهنا .
٢٣ ـ ضَرَمى : آل سيف (من السيايرة) .
٢٤ ـ عُشيرة (في سدير) : آل ماضي .
٢٥ ـ عُنيزة : قال الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام في نبـــذة في ذكر انساب سكان عنيزة ، ملحقة بكتابه [1] :
(وفيها من بني خالد : آل تركي، وآل خُويطر، وآل نُعيم ، والمطاريد وآل بُريكان،منهم : حسن بن علي آل بريكان ، وصالح الجفالي وآل برّاك وآل فيّاض ـ ومنهم : سليمان الريس مؤذن الجامع ، وآل مكتوم ، وآل شوشان ، والطعامى ، وآل صُخيبْر ، والحميـدي ، وآل صعب ، وآل قاشان (؟) وآل كنعان ، وابن ملوح ، وآل مشاري المعروفون في بمي ، والربيعي ، والدماشا (؟) انتهى كلامه
٢٦ ـ الغاط : آل رزق ، الذين منهم ابن رزق الذي ألف ابن سند في ترجمته كتاب « سبائك العسجد » وأصل آل رزق من حرمـــة ثم انتقلوا الى الغاط .
٢٧ ـ القراين ـ آل بُليهد وآل سالم وآل عمار .

(١) « تحفة المشتاق »

٢٨ ـ القرعاء (في القصيم) آل بليهد .

٢٩ ـ القصب : آل شبيب وآل شعلان وآل غنّام والسيايرة ، ومن السيايرة الشاعر المعروف حُمَيــدان الشُّويعر ، والسيايرة من الدعم الوارد ذكرهم في المؤلفات القديمة .

٣٠ ـ القصيم : ذكرنا بعض سكان مدنه وقراه من بني خـــالد ، وممن لم نذكرهم من سكان القصيم : الدباخى (واحدهم دبيخي) وآل شايــع ، والمطاريد .

٣١ ـ القويعية : آل جناح والعـرافى (واحدهم عريفي) في قصر لهم بقرب القويعية يدعى مُزْعِل وهم من السيايرة من آل جناح .

٣٢ ـ المجمعة (قاعدة بلاد سُدَير) : آل مُحارب .

٣٣ ـ المِذْنب ـ بكسر الميم وإسكان الذال وفتح النـــون فباء ـ : الحواس والوُضَيْخان .

٣٤ ـ المزاحمية : آل دخيل وآل زياد وآل غُنيم .

٣٥ ـ المسلمية وجزيرة بقرب الجبيل) : آل حسن وآل خالد ، وآل رازن ، والمهاشير .

٣٦ ـ منفوحة : آل غنيم .

هذا وفي الكويت : قسم من المهاشير وفي قطر: من آل صبيح والحميدات وفي البحرين : من الحميدات ، وفي تلك البلاد وغيرها من مختلف المدن والقرى أفخاذ أخرى من بني خالد .

أما فروع بني خالد فمن أشهرها ١ ـ الجبور: ومنهم آل مقدام وبنو نهد والبشوتات والعماير وآل صُبيح .

والعماير ويدعون العمور أيضاً منهم الدواودة وآل حسن ومن فروع آل صبيح : آل يحيى والخازيم والزبن .

ومن الجبور من الحضر آل سيار المنتشرون في قرى نجد .

٢ ـ المهاشير : ومن بطونهم آل كليب وآل ثنيان وآل عقيل وآل عبيكة وآل علي .

٣ ـ القرشة ٤ ـ آل حميد ومنهم آل عريعر أمراء الاحساء فيما مضى .

هذه أشهر فروع القبيلة في الجزيرة ، ولها فروع كثيرة اخرى منتشرة في العراق وفي الشام .

أما بلاد البادية من بني خالد ، فإنها تمتد على امتداد ساحل الخليج العربي ما بين وادي المقطع شمالاً إلى طرف البياض جنوباً، وتمتد غرباً إلى الصمان[١]

ومما تنبغي ملاحظته حول فروع هذه القبيلة ، أنها كغيرها من فروع القبائل الاخرى خالطتها فروع من قبائل مختلفة ، ومن أمثلة ذلك :

١ ـ العمور : هؤلاء أصلهم من عبد القيس ، وعبد القيس هم كانوا المسيطرين على الاحساء إلى حوالي القرن السابع الهجري ، والعمور من عبد القيس هم بنو الديل وبنو عجل وبنو محارب هؤلاء بنو عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس[٢] .

٢ ـ الجبور : هم بقية حكام الاحساء في القرن الثامن والتاسع وأول العاشر ، وهم من بني عقيل من عامر بن صعصعة .

٣ ـ القُرَشة : يقال إنهم من عبِيدة من جَنْب ، من قحطان

٤ ـ المهاشير : يقال بأنهم يرجعون إلى قبيلة بني هاجر ،القحطانية النسب.

وعلى وجه الاجمال فبنو خالد كما قال الشيخ أحمد بن مشرف الاحسائي:

ولا تنسَ جَمعَ الخالدي فإنه قبائل شتى من عقيل بن عامر

ويضاف الى هذا ان هذه القبيلة لم تكن معروفة في العهد الجاهلي ، ولا في صدر الاسلام ، ككثير من القبائل التي عرفت في جزيرة العرب في الأزمنة الأخيرة ، مثل قبيلة مُطير ، وقبيلة عُتيبة ، وغيرهما من القبائل وإنما بدأ ذكرها ينتشر منذ القرن العاشر الهجري وما بعده ، أي بعد أن كان لبعض أفخاذها قوة وشوكة ونفوذ في شرق الجزيرة. أقول هذا من قبيل تقرير واقع عرفته ، لا للمساس بأي جانب من جوانب قبيلة أعتزُ بالانتساب اليها من جهة الخؤولة ، فأخوالي آل سالم من السيايرة من الجبور ، ولكن الحق أحق بأن يتبع .

حمد الجاسر

(١) « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة .

(٢) أنظر مقدمة «معجم ماستعجم» ومادة صلاصل من «معجم البلدان».

استدراك حول :

الربّان أحمد بن ماجد

(وقع في الحلقة الثانية من هذا المقال المنشورة في صفحة ٣٦٨ و ٣٦٩ سقط في الكلام في الجملة التي عنوانها : (كولمبوس يكتشف اميركا) وما بعده. فجاء الكلام مبتوراً ، ولعل هذا ناشيء من أن عمال المطبعة أضاعوا صفحتين أو سقطت منهم عند الطبع . ولهذا نعيد الجملة كاملة) .

كولمبوس يكتشف اميركا :

لفتت كشوف البرتغال انظار العالم الى هذا المنبع الهائل من منابع الثروة الذي تصر على استنزافه وحدها دون شريك ، فتسد الطريق اليه على غيرها، وتوصد الابواب دونه في وجوه الامم الاخرى دون تمييز . وبهذه السياسة أثارت حسد الأمم الاوروبية وحملتها على السعي لاكتشاف طريق أخرى إلى الهند ، ليكون لها نصيب في ذلك الخير العميم الذي تأبى البرتغال إلا أن تستأثر به وحدها دون سائر الناس. وكانت اسبانيا السباقة في هذا المضمار، فإنها ما كادت تفرغ من القضاء على المسلمين في الاندلس سنة ١٤٩٢ م ، حتى ولت وجهها شطر البحر ، فأرسلت كرستوفر كولمبوس الجنوي في السنة ذاتها لاكتشاف الهند ، بالإبحار غرباً اليها ، توطئة لاستعبادها وانتهاب خيراتها . وعاد كولمبوس من رحلته بعد سبعة أشهر وبضعة أيام ، بعد أن اكتشف جزر الهند الغربية التي حسبها الهند واليابان . ثم بدأ استغلال هذه البلاد على أبشع صورة من صور الاستغلال . فأخذت السفن الاسبانية تنقل السفاحين الاسبان الى اميركا ، لتعود منها محملة بالذهب والنفائس الاخرى.

البرتغال تستأنف نشاطها :

وكان لاكتشاف اميركا ضجة في البلدان الاوروبية ، وخاصة في البرتغال لما أضفاه على اسبانيا من ثراء واسع وجاه عريض في مثل ذلك الزمن القصير. وقد شايعت البرتغال كولمبوس في ظنه انه اكتشف طريقاً بحرية إلى الشرق، وان الاسبان سيجدون عما قريب طريقهم إلى الصين واليابان وغيرهما من من بلدان الشرق الأقصى التي تحدث عنها وعن خيراتها ماركو بولو وغيره من المغامرين الاوروبيين ، وسينعمون وحدهم بتلك الخيرات . فإذا شاءت أن يكون لها نصيب في ذلك الخير العميم ، فعليها أن تشق طريقها الى تلك البلاد مهما كانت التضحيات .

اليهود يحرضون البرتغال :

وبعد اثني عشر عاماً من اكتشاف برثلميو دياز رأس الرجاء الصالح ، وبضع سنوات على عودة كولمبوس من سفرته الاولى الى جزر الهند الغربية ، كان المنجم اليهودي ابراهيم زاكوت Abraham Zakut الاستاذ السابق بجامعة سلمنكا Salamanca يجلس ذات ليلة بين يدي سيده مانوئيل ملك البرتغال ، يستنطق له النجوم عما تخبئه له الاقدار . وجاءه الجواب : ان الملك سينال نصراً عظيما ، وسيصيب خيراً وفيراً ، وسيتدفق الذهب في خزائنه ، اذا هو انفذ الحملة التي كان سلفه الملك حنا الثاني يزمع تجريدها الى الشرق ، شريطة ان يكل قيادتها الى من تتوفر فيه شروط معينة . ويقول مؤرخو البرتغال ، ان زاكوت لم يسم من كان يرشحه للقيادة . ومع ذلك فقد وقع اختيار الملك بصورة غامضة على فاسكو دي جاما ، تلميذ زاكوت بالذات . والمرء لا يملك الا ان يلاحظ تكالب اليهود على حبك المؤامرات ضد العرب المسلمين ، والتحريض على شن الحرب عليهم عن طريق التجسس والتنجيم وغير ذلك من وسائل الوقيعة والدس ، حتى في ذلك العهد البعيد .

حـــول :

ديوان عمرو بن معــد يكرب الزبيدي

من شعر عمرو بن معديكرب ، مما لم يرد في الشعر الذي جمعه الاستاذ هاشم الطمان ، الذي تحدثتم عنه في ص ٢٦٦ من هذه السنة ما جاء في كتاب « شرح الدامغة » الورقة الـ ٦٠ مخطوطة مكتبة الامام يحيى اليمنية الفريدة ونصه : (ومن ذلك يوم رَنية ورَنيةُ القريحا. وفيه يقول عمرو بن معديكرب في شعر له ، فيه طول :

فلما هبطنا بطن رنيَة بالقنا ... أرنّ سحاب رعدُهُ متجاوبُ
وسلت سيوف الهند منا كأنها ... مخاريق نالتها أكف لواعِبُ
بها نتشافى الغلّ في ذات بيننا ... وتزهو بأيدينا سيوف قواضبُ
مشهرة ألوانهـــا حِمْيَريـــة ... ترانا بها نسعى اذا ما نُضاربُ
فكلنا لهم بالصاع صاعين عنوةً ... فآلوا برب البيت أن لا يحاربوا

فقال عامر في جواب له طويل :

لا تعجلنْ يا عمرو وانظر كتائباً ... تساق اليــكم بعدهن كتائب
إلى اطم ظبي يعتلكن شكائماً ... مقانب يهديهـا إليك مقانبُ
هنالك لا تنجيك منـا قضاعة ... ولا مَذْ حج إن سار كعب وحاطب

الأطم : الحصن الحصين . وظبي : موضع عمرو وهو بيبميم ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال : وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا

والناس يروون : طبي . وذا غلط ظبي وعرعر من أودية نجد ، وقــد يسميه من يجهله طب . قد نبهنا على كل وقعة منها ببيتين وبثلاثة ، لئلا يطول الكتاب ، لان من شأننا الاختصار ، وقد جمع ذلك الحسنُ في كتابه المؤلف في « مفاخر اليمن ووقائعها » انتهى .

وأقول : الهمداني – وإن كان علامة فيما يتعلق باليمن ، إلا أن استشهاده بشعر امريء القيس على ظبي في غير محله ، فظبي الذي ذكره امرؤ القيس في شمال الجزيرة ، وليس في جنوبها كما أوضح ذلـك الهجري – وهو من مشايخ الهمداني – فظبي يقع بقرب عرعر وابي القور في جهة السماوة [١] .

(١) انظر كتاب « ابو علي الهجري » ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

ومن شعر عمرو بن معدي كرب مما لم يرد في الديوان ما أورده الهمداني في « شرح الدامغة »[1] أيضاً ، في كلامه على مقتل عمارة بن مرداس السلمي في يوم الغُمير بين بني عوف من خولان وبني سُلَيْم :

لو كان عباس هنالك حاضراً لَهَوَى، وقد خَضَبَ الجبين بعُصْفُرِ
ولقد صبحتُ بها عمارة غدوة والبيض تعلو فوقه بالمنشرِ
ولقد تركت أبا تميم بعدما عَضَّ الحسام جبينه لم يقبرِ
في فتية من قومه خضبت لهم سود اللحا من عاتك مُتحيرِ
لما وقعنا في التنازل خفخفت مثل النعام مخافة للأشقرِ
ثم استمرّ القوم فوق ركابهم وسُلَيْم صرعى في العجاج الأكدر
نالوا بثأرهم (البيت موجود في الديوان ص ١٠٥) بأخي الهزاهز تحت نجد المنظر
لما انتهى لأبيه شدّ بصارم (موجود في الديوان ص ١٠٦) (*)
فكساه قدر الشِّبْر منه فانكفى شطرين من مُتَيَمَّنٍ ومُيَسَّرِ
فهوى لِقُطْرَيْهِ بأفحش ضربة من كف (في الديوان ص ١٠٦) (*)

وأورد الهمداني[2] له بَيتاً ويظهر انه من قصيدته المذكورة في الديوان (ص ١١٢) .

فإن ظهور الخيل ثمّ حصوننا ترى لبني عصم بهنّ تنافسا

ومما يتعلق بعمرو بن معديكرب ما أورده الهمداني[1] ونصه : أن قضاعة ومذحج التقوا بتَثْليث (وهذا الوادي لا يزال معروفاً وفيه قرى وسكان) من ديار زُبيد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى عقر لعمرو بن معديكرب فَرَسٌ يقال له اليعسوب ، فلما وقع عمرو الى الأرض استدار له المحنون بن كثير العوفي من عوف بن ربيعة بن سعد بن سعد بن خولان ليرميه ، فبصر به عمرو ابن يزيد أخو بني عوف فنهنه ، وقال: مهلاً قطع الله يد الأخير !! فكفّ وأتى لعمرو بن معديكرب بفرس فركبه وقاتل عليه يومه حتى فرّق بينهم الليل ، ثم انصرف كل ولقضاعة الطول ، فلما صدرت قضاعة بأرَيْنِب بلغ عمرو بن

---

(١) الورقة ٦٣ . (٢) الورقة ٥٠ .
(*) مع اختلاف في اللفظ . (٣) المصدر السابق الورقة ٨٢ .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما يُنشر من تراثنا]

● العَذب الفائض في شرح عمدة الفارض

هذا كتاب في علم الفرائض مؤلفه عالم نجدي من أهل القرن الثاني عشر الهجري هو الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن براهيم من آل سيف الشمريِّين سكان بلدة المجمعة ووالده الشيخ عبد الله من العلماء ومن أساتذة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد انتقل الشيخ عبد الله إلى المدينة فاتخذها موطناً وعرف بيته فيها بـ (الفرَضي) و بـ (المشرقي) كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب « تحفة المحبين والأصحاب[1] » وكتاب « العذب الفائض » شرح أرجوزة للشيخ صالح بن حسن الأزهري وهو من أوفى الكتب في

يزيد عن عبد الله بن الحارث بن عمرو أخي بني سعد بن سعد شبيه بما كان من أبيه من الكلام في حكيم العلاق ، فأصب عليه ، ثم مر به عبد الله بن الحارث فدعاه وقال : يا ابن أخي : ما كلام بلغني عنك في أمر عمرو والمجنون ؟ قال فقال : نعم يا أبا حكيم ! قد علمت أنَّ عمراً بَطِيْنٌ من دماء بني سعد بن سعد ، وكان قد أفقر مَقتَله ، فنهنهت عنه ، وسيفه يقطر من دمائنا فأنشأ يقول:

أبصرتُ عمراً في الحديد كأنه ... ليثٌ هزَبْرٌ في حديد أرود

فغضضت طرفي حين خَرَّ جوادُه ... وحبستُ عنه سنان رُمحٍ في اليد

ما كان بي جبنٌ ولا ارتعشتْ يدي ... لكن حميتُ على الهمام الأصيد

من فرع مذْحِجَ في ذؤابَةِ مازنٍ ... يردي الكماة بساعد ومقلد

حطّتْ عليه بنو زُبَيْدٍ بركها ... بالمشرفية كالضرام الموقد

لا تقتلوا ساداتكم فتَعَيّرُوا ... فمن الكبائر قَتْلُ كلّ مُسَوَّدِ

---

(١) ص ٣٨٦ .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما يُنشر من تراثنا]

● العَذب الفائض في شرح عمدة الفارض

هذا كتاب في علم الفرائض مؤلفه عالم نجدي من أهل القرن الثاني عشر الهجري هو الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن براهيم من آل سيف الشمريِّينَ سكان بلدة المجمعة ووالده الشيخ عبد الله من العلماء ومن أساتذة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد انتقل الشيخ عبد الله إلى المدينة فاتخذها موطناً وعرف بيته فيها بـ (الفرَضي) و بـ (المشرقي) كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب « تحفة المحبين والأصحاب[1] » وكتاب « العذب الفائض » شرح أرجوزة للشيخ صالح بن حسن الأزهري وهو من أوفى الكتب في

يزيد عن عبد الله بن الحارث بن عمرو أخي بني سعد بن سعد شبيه بما كان من أبيه من الكلام في حكيم العلاق ، فأصب عليه ، ثم مر به عبد الله بن الحارث فدعاه وقال : يا ابن أخي : ما كلام بلغني عنك في أمر عمرو والمحنون ؟ قال فقال : نعم يا أبا حكيم ! قد علمت أنّ عمراً بَطِيْنٌ من دماء بني سعد بن سعد ، وكان قد أفقر مَقْتَله ، فنهنهت عنه ، وسيفه يقطر من دمائنا فأنشأ يقول:

أبصرتُ عمراً في الحديد كأنه ... ليثٌ هزَبْرٌ في حديد أرود
فغضضت طرفي حين خَرَّ جوادُه ... وحبستُ عنه سنان رُمْحٍ في اليد
ما كان بي جبنٌ ولا ارتعشتْ يدي ... لكن حميتُ على الهمام الأصيد
من فرع مذْحِجَ في ذؤابَةِ مازنٍ ... يردي الكماة بساعد ومقلد
حَطّتْ عليه بنو زُبَيْدٍ بركها ... بالمشرفية كالضرام الموقد
لا تقتلوا ساداتكم فتَنْعَيَّرُوا ... فمن الكبائر قَتْلُ كلِّ مُسَوَّدِ

---

(١) ص ٣٨٦ .

موضوعه ، يقع في جزءين ، صفحاتها ٥٩٧ وقد سبق أن طبع هذا الكتاب ثم أعيد طبعه بطريقة التصوير بأمر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود وهو من الكتب التي أمر – أطال الله عمره – بطبعها وتوزيعها على مستحقيها إسهاماً في نشر العلم .

● **مجلة معهد المخطوطات العربية**

وصدر المجلد الثاني عشر بجزءيه الأول والثاني من « مجلة معهد المخطوطات العربية » يضم الأول كتاب « الكافي في العروض والقوافي » للخطيب التبريزي بتحقيق الأستاذ الحساني حسن عبد الله في ٢٥٠ صفحة ، ويحوي الجزء الثاني من البحوث والتحقيقات : المخطوطات العربية في يوغوسلافيا للدكتور حسن قلشي، ثم الردّ على الزبيدي في لحن العامة – تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، ثم « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » – رسالة للسان الدين ابن الخطيب – تحقيق الأستاذ عبد الحفيظ منصور . وفي نقد الكتب نقد كتاب « الذخائر والتحف » ، والناقد هو الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، ونقد « ديوان عمرو ابن قميئة » للأستاذ عامر محمد البحيري ، ومما يلاحظ على الجزءين تاريخها ، فقد كتب في الغلاف الأول سنة ١٣٨٦ – ١٩٦٦ وفي آخر الجزء ١٩٦٩ وكذلك الحال في الجزء الثاني وهو جزء شعبان من السنة المذكورة ، والظاهر ان التاريخ مقدم على زمن الصدور ومثل هذا العمل تكرر في كثير من أجزاء المجلة الأخيرة مما كان مبعثاً للتساؤل !!

● **محاضرات في التاريخ والآثار**

وأصدرت (جمعية التاريخ والآثار) في جامعة الرياض الحلقة الأولى من مطبوعاتها ، بعنوان « محاضرات في التاريخ والآثار » يحوي خمسة أبحاث هي : التقديس وآثاره الجغرافية للدكتور عزت النص – عميد كلية الآداب – والآثار الإسلامية في الأندلس : للدكتور عبد الرحمن الحجي – وأضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث : للدكتور عبد الأمير محمد أمين – والمدرسة والتعليم في وادي الرافدين : للدكتور محمود الأمين – وتقويم [1]

(١) سبق نشره في مجلة « العرب » ص ٥٣٠ السنة الرابعة .

جديد للدعوة العباسية : للدكتور فاروق عمر – ولمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية : للدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، مع مقدمتين للدكتور عبد الرحمن الأنصاري – رئيس الجمعية ، وللدكتور عبد العزيز الخويطر – وكيل جامعة الرياض ، ثم نظام جمعية الآثار تلاه بيانات إدارية عنها باللغتين العربية والإنجليزية !! كل ذلك في ١١٦ صفحة بطباعة حسنة في إحدى مطابع الرياض. وحسناً فعلت الجمعية بنشرها هذه المحاضرات ، ولعلها تواصل النشر لكي تكون الفائدة من دراساتها ومحاضراتها وابحاثها أعم وأشمل.

● **ديوان الصنوبري**

أحمد بن محمد الضّبي الحلبي المتوفي سنة ٣٣٤ من أشهر الشعراء في عصره ، يغلب على شعره التغني بجمال الطبيعة ووصف مظاهرها ، وقد فقد القسم الأكبر من شعره ، وبقي منه قطعة من حرف الراء حتى حرف القاف ، في نسخة وحيدة ، وقد قام العالم الجليل الدكتور إحسان عباس بتحقيق هذا القسم منه ، وأضاف إليه تكملة جمعها من مصادر كثيرة ، فجاء الديوان في ٥٨٤ بطباعة حسنة أضفى عليها رواءاً وبهجة عمل أستاذنا الدكتور إحسان ، فبرز يمثل جانباً كبيراً من جوانب شعر هذا الشاعر في جماله وحسن اخراجه.

● **خمسة أيام في (ماليزيا)**

قام الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في عام ١٣٨٥ بزيارة ماليزيا بدعوة رسمية لحضور الاحتفال بافتتاح (مسجد نيقارا) في (كوالا لمبور) وأمضى في تلك البلاد الإسلامية خمسة أيام سجّل أهم مشاهداته في هذا الكتيب اللطيف الذي بلغت صفحاته ٨٣ وجاءت الحلقة الثالثة من سلسلة كتب أو أبحاث موجزة ينشرها الأستاذ الرفاعي تحت اسم « المكتبة الصغيرة » .

● – **العاشر من مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .**

عثر الطبيب سامي حداد أستاذ الجراحة في الجامعة الأميركية في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) على الجزء العاشر من مسند عمر بن الخطاب تأليف يعقوب بن شيبة رواية حفيده محمد بن أحمد بن شيبة ، فحقق ذلك الجزء ونشره بعد أن أضاف إليه شروحاً وتفصيلات وافية ، ثم قام ابنه الدكتور فريد بن سامي حداد نقيب أطباء لبنان بإعادة طبع ذلك الجزء طباعة جيدة مَيّز الأصل بورق أصفر ، وفصل بينه وبين المقدمات والشروح والفهارس ، وجاء الكتاب في ٢٠٦ من الصفحات على درجة جميلة من التحقيق وحسن الترتيب .